رابيكا كاين

البحر الى الأبد

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
CHILD OF TAHITI





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

١ ـ العناق الأخير

في صباح جميل ومشمس، عكرت الطائرة المحلقة الآتية من الجهة الشرقية صفو الجزيرة بدوي محركاتها. حلّق عصفور ملوّن تبعه رفّ كثيف من العصافير وهي تزقزق. وأخيراً استيقظت الجزيرة.

على الشاطىء الرملي الفارغ، برز شبحان، جامدان. الرجل يحيط بذراعيه كتفي رفيقته. حركت الفتاة شفتيها لكن صوتها لم يسمع إذ خطفه دوي الطائرة التي باتت قريبة من الشاطىء. وفجأة أفلتت الفتاة من عناق رفيقها وقالت:

«لا، يا بيار!»

«لكن، حبيبتي...»

كان يضحك محاولاً التمسك بها. ثم أضاف:

«أريد فقط.. ستندمين على ذلك بعد رحيلي!»

«لا، اتركني!»

كان جسمها الصغير يكافح بقوة وهي ترتدي بزة السباحة البيضاء.

«لا يهمني ألاّ أراك بعد الآن! أبداً!»

«أبداً! يا لهذه الكلمة الرهيبة!»

كانت تحاول جاهدة كبت دموعها وكانت تحفر الرمل بقدمها. وكان يسخر منها وقال:

«إن حبّك لي ضئيل، أيتها الانسانة الفظة!»

«وأنت كذلك، أيها المدعي! ولماذا أحبك بعد الآن؟ هل أنت وحيد زمانك، يا بيار لامونت؟»

إن خبث كلامها يتناقض ولهجة بيار المتملقة. كان يصغي إلى كلمات العتاب في مرح ووقاحة.

«لكن، أمس، كنا أقرب الأصدقاء. ومنذ الصباح وأنت تحاولين الدخول في معارك معي. أين هي تلك الفتاة الصغيرة المرحة التي عرفت؟ هل أنت غيورة بسبب...؟»

«غيورة، أنا؟»

ارتفع صوتها، لكن دوي الطائرة حمل معه بقية الجملة. وفي غضب، هربت وراحت تركض على طول الشاطىء.

«تينا، تينا، عودي!»

قام بخطوة، ثم، عدل عن المتابعة. راح يتأمل الشبح الصغير يبتعد، وإذا بالطائرة فوق رأسها، مثل طائر ضخم. ومن بعيد، توقفت تينا لتتأمل الطائرة اللماعة. لكن وكأنها شعرت بالذعر أمام ظل الطائرة الكبير، عادت تتابع ركضها المضطرب.

تلاشى الضجيج، واختفت الطائرة، التي ستحط بعد قليل في مطار تاهيتي.

راحت تينا تتأمل قمم جزيرة كالوها المظلمة، وهي الأصغر في مجموعة الجزر القائمة على هذه البقعة من العالم. والجبال البارزة المنبثقة من البحر تبدو وكأنها تتوج الجزيرة تتويجاً أبدياً.

لا أحد يلحق بتينا. لن تسمع بعد الآن كلام الشاب الفرنسي المألوف. لن يراها في هذ الحالة التعيسة. واستعادت أنفاسها مكملة سيرها.

في هذا المكان حيث الصخور تحد الشاطىء وتقترب إلى المياه الهادئة لهذه

المنطقة البحرية الخضراء الصافية، التفتت إلى وراء فلم تجد أثراً لبيار. أكملت سيرها وهي تجر قدميها، واجتازت أسوار الصخور. ومشت على الزبد الأبيض قرب الامواج. أخيراً، صعدت نحو الأشجار وتركت نفسها تتهاوى على الأرض، من دون حراك. فأخفت وجهها بين ذراعيها. لماذا كل هذا الألم؟ إنها تسخر من عودة بيار إلى فرنسا... إنها غبية لتحزن وتتأسف بهذا الشكل. ظنت أن في عيني الرجل شغفاً بها، والاحلام الصغيرة الحمقاء أضرمت مخيلتها.

تصرفت بسذاجة كبيرة. حمقاء! كيف كان في امكانها الاعتقاد بأنها أغرته؟... وتلك الأيام الماضية وهي تنتظره في ماهاثيا...

ارتجفت شفتاها. حاولت كبت قلقها وغمها وهي تلطم الرمال بمعصميها. إذا كان هذا هو الحب، فلم تعد تريده! ستترك بيار وشأنه ليرحل إلى أوروبا! اجتازتها قشعريرة وراحت تجهش بالبكاء.

أشجار النخيل تحدث صوتاً خفيفاً لمرور الريح. الشمس تلمع من خلال الأوراق المخرّمة. وهناك، خلف البحيرة، الأمواج تتكسر وتقع ستائر واسعة من الزبد على تشعبات المرجان. لكن تينا لم تكن تسمع شيئاً، ولا ترى شيئاً، ولا حتى الخطوات المقتربة منها، ولا الظل الذي انعكس عليها، بصورة مفاجئة.

انحنى الرجل نحوها ولمس كتفيها. انتفضت والتفتت ووجهها مبلل بالدموع.

سأل بصوته الرجولي الثاقب:

«اعتقدت... لكن، ماذا حدث لك؟»

راحت ترشقه بنظرات حادة، مستغربة. وبدأت ترتجف لكن الخوف أضمحل. كان جسمها قد امتلأ رملاً. قطّب الرجل الغريب حاجبيه وسألها:

«ما بك؟ هل أنت مصابة بجروح؟»

«اذهب عني! لا تتدخل في شؤوني، لماذا يهمك أمري؟»

كانت تكرهه كما تكره العالم كله في هذه اللحظة بالذات.

«أذهب عني! طلبت منك أن تذهب».

«ليس في نيّتي أن أذهب من هنا».

تريّث قليلاً قبل أن يضيف في حدة:

«إن هذه الأرض التي تجلسين عليها ملكي، وسيغطيها الفيضان إذا واصلت البكاء. في أيّ حال، من أنت؟»

لم تجبه، فأمسكها بذراعها، فلم تتحمل ذلك ورفسته بعنف وقالت:

«دعني وشأني. لا يحق لك أن تتهمني بأنني أهدد شاطئك الوسخ بالفيضان».

ومن خلال الدموع لم تكن تميّز شكل الرجل. لم تكن ترى سوى شبح يعوم في الفضاء. انتابها الغضب فانتفضت واقفة وصرخت:

«اذهب عني!»

راحت تزعق بقوة، فاقترب منها، فلطمت صدره بمعصميها، لم تعد قادرة على ضبط انفعالاتها والسيطرة على تصرفاتها. كانت تتمنى شيئاً واحداً: أن يتركها الرجل وحدها و يذهب.

أمسك بمعصميها وحاول تهدئتها، لكنها استمرت تقاوم للتخلص من قبضته بلا جدوى. كان متمسكاً بها كالقيد وهي تتخبط مثل نمرة هائجة تتحرك وترفس بقدميها. وفجأة شعرت بصفعة تحرق وجهها.

وضعت يدها على خدها وقالت حانقة:

«ماذا فعلت؟»

«أنت فتاة مجنونة حقاً!»

«لقد صفعتني. كيف تجرأت على ذلك؟»

«إنها الطريقة الوحيدة التي ينبغي استعمالها مع الفتيات المصابات بالهستيريا

مثلك».

«لست مستهترة أنت المسؤول. لم أطلب منك أن تتدخل في شؤوني».

«لكن أنت التي بدأت بضربي».

حاولت صفعه لكنه ابتعد عنها في الوقت المناسب. وفي غضب كبير أخذت تركض على طول الشاطىء.

صرخ الرجل بكلمات لم تفهمها. كانت تركض ولا تعي شيئاً. إلا غضبها، ثم تعثرت قدماها على صخرة رملية. كان الرجل الغريب ينظر إلى ما يجري و تينا لا تتحرك. اقترب منها وسأل:

«هل أنت بخير؟»

لا جواب. اقترب منها خطوة وسألها:

«بماذا تشعرين؟»

«لا أدري».

«هدئي أعصابك وإلا تركتك هنا مع مزاجك السيء».

كان صوته ساطعاً مثل صفعته. وفي صعوبة حاولت الوقوف، لكنها لم تستطع وسقطت من جديد على الرمال.

«أعتقد أنك أصبت بجراح».

قالت وهو يتفحص كاحلها:

«لا أبالي. اذهب عني!»

«أيتها الحمقاء الصغيرة، يجب علاجك في الحال. هل في امكانك الوقوف؟»

هزت رأسها سلباً ونظرت حولها: الفندق والحديقة بعيدان جداً. أمام عينيها يمتد فقط البحر والرمال والشمس والقمم الزرقاء.

لم تكن تعرف هذا المكان. لم تستكشف مع فابي و بول و بيار سوى ضواحي مرفأ كالوها الصغير. وعندما اقترحت المجيء إلى هنا حباً بالمغامرة قال لها بيار ان المكان لا يرتاده أحد وأنه الامتداد النهائي للمزروعات. كلما تذكرت بيار ازدادت آلامها. شعرت بأنها وحيدة، متروكة. فجأة سألها الرجل الغريب:

«أين تسكنين؟»

«ولا في أي مكان».

كاحلها يؤلمها، تحسسته وصرخت:

«آه، يا إلهي!»

وضع الرجل الغريب يده وقال في غضب:

«إنك حقاً طفلة! هيا قولي لي من أين جئت».

«لا أدري».

«يا لها من مصيبة! هل أنت بلا عائلة، بلا أصدقاء، بلا منزل؟ أظن أنني لا أصدقك يا آنستي الصغيرة».

«لست مضطراً لأن تصدقني».

عادت الدموع تنهمر من عينيها، فأخفت وجهها بيديها وقالت في أسى:

«لا أريد أن أعود إلى هناك. أريد أن أموت».

ران صمت طويل قطعه الرجل قائلاً:

«لا أصدق ما تقولين... هل تتمنين الموت حقاً؟»

«كيف لك أن تعرف إذا كنت أتمنى الموت أم لا؟»

«أنت على حق. لا يمكنني أن أعرف ذلك، لكنك الآن في حاجة إلى مساعدة حتى وإن كنت تكرهين ذلك».

مدّ إليها يده وقال:

«هل تسمحين؟»

تفرّست تينابه وقبلت مساعدته مرغمة، وعيناها محمرتان من الدمع. سألها:

«أين تسكنين؟»

«أنا لست من هنا. إنني أعيش في تاهيتي. أتيت إلى هذه الجزيرة لزيارة فاي. لقد تزوجت حديثاً وهي تدير الفندق هناك».

«فهمت الآن. الفندق بعيد من هنا ولا يمكنك العودة إليه وحدك وأنت على هذه الحال».

«يجب أن أعود إلى هناك. لم أكن أدرك أنني اجتزت كل هذه المسافة وأصبحت بعيدة جداً عن الفندق».

«السبب أنـك كنـت غاضبـة جداً. عدينـي ألا تتصرفي هكذا من جديد، إذا ساعدتك في العودة إلى الفندق».

كان صوته وكأنه آت من بعيد. وبينما كان يسندها، استرخت متعبة، لكنها ظلت متقلصة الأصابع، متعلقة بكتفيه القويتين، يجتاحها شعـور غريب. لم يسبق أن أغمي عليها. أدرك الرجل أن قواها بدأت تخور فراح يشجعها قائلاً:

«تعلقي بي جيداً، المكان ليس بعيداً كثيراً».

الرمال تمر تحتها، وبدا العالم كله في عينيها وكأنه غير واقعي. الأشجـار تتشابك لتشكل فضاء أخضر تلمع فيه بقع الشمس. الطريق تتعرّج، يحدها من كل جانب جدار من النباتات الأستوائية.

وعندما توقفا لم تكن لديها أية فكرة عن المسافة التي اجتازتها وهي متعلقة بكتفي الرجل.

انتهت الطريق بسلالم وعرة محفورة في الصخور. عضت على شفتيها وحاولت

مواجهة الأمر، لكنّ يدين نشيطتين تمسكتا بها لترفعاها عن الأرض.

«إنك خفيفة كالريشة!»

كان يتكلم بصوت أكثر نعومة، يرتج بعمق أكبر في الصدر حيث وضعت تينا رأسها.

أدركت خطورة حالتها وخيبة أملها واستسلمت إلى قوة هذا الرجل الملتهبة. تذكرت والدها. كان يحملها هكذا ويهمس في أذنيها كلمات ناعمة. إنه فنان، لو رآها على ما هي عليه الآن، لكان تصرّف بالطريقة نفسها. لكان حملها وهو يتسلق سلالم الفيللا، متعباً، ولكان قال وهو يعانقها: «إنك خفيفة مثل ريش العصفور».

حملها الرجل الغريب إلى الشرفة. هناك باب كبير، وإلى اليسار مقعد من قش مغلف بالوسائد البيضاء ... وضعها الرجل الغريب على المقعد ثم توجه نحو الباب وقال:

«سأعود في الحال».

لم تتحرك تينا. كانت تتأمل امتداد البحيرة: بساط من الحجارة البلورية المنثورة هنا وهناك، وسد المرجان يبدو كأنه يتلقف هذه الحجارة. ما من كائن حيّ يعكر صفو هذا المشهد الرائع. لا نسيم ولا ريح. أشجار النخيل جامدة لا تتحرك. كل شيء يشبه لوحة انطباعية. والدها يحب هذا الهدوء، لكن ماذا سيكون رأيه لو رآها هنا، كأنها مأخوذة بهذا الرجل الغريب الغامض، الشبيه ببطل اسطوري!

انتفضت عندما سمعت صوتاً يرتفع قربها، فتنبهت كل حواسها. عاد الرجل في هدوء وصمت فلم تسمعه. كأس مثلجة فيها شراب لم تذقه من قبل أعادها إلى الواقع. عبست وهي ترتشف محتويات الكأس فقال الرجل:

«أضفت إلى الشراب ماء الزهر. إن كيم يعد القهوة».

«أرجوك لا تعد القهوة خصيصاً من أجلي».

«أنا معتاد على تناول القهوة في مثل هذا الوقت من النهار».

وضع كرسياً قربها وجلس وقال:

«دعيني الآن أرى كاحلك».

ما أن لمس قدمها حتى راحت تئن فسألها:

«هل تؤلمك؟»

«قليلاً... هل تظن بأني كسرت كاحلي؟»

«لا أظن. قد يكون تمزقاً بسيطاً».

دخل شاب صيني حاملاً وعاء أزرق ومنشفة صفراء، أعطاهما للرجل الذي قال:

«شكراً يا كيم».

كان في الوعاء قطع من الثلج، ومن دون أن ينتظر بلل المنشفة بالماء المثلج ثم وضعها على كاحل تينا. اجتاحها البرد. أجرى لها الرجل تدليكاً دقيقاً ثم لف الكاحل بمنديل مليء بقطع الثلج فصرخت:

«لكن الثلج سيذوب بسرعة».

رفع الرجل قدم تينا فوق بعض الأرائك وقال:

«اشربي كأسك».

«شكراً. إنني آسفة لأنني أزعجتك».

كانت تتكلم بسرعة وتتحرك، فأمسك بها ليمنعها من الوقوف وقال:

«لا تتحركي من هنا ما دمت لا تشعرين بتحسن».

«لكن الثلج بدأ يذوب وسأبلل المقعد»

«هذا لا يهم اهدأي».

تبعت نظراته وأدركت حالها التعيسة. كانت مليئة بالرمل وعلى جسمها بقع الطحلب. بـزة السباحة البيضاء التي كانت ناصعة عندما راحـت تتمشى مع بيار، فقدت الآن رونقها.

تركها بيار تهرب. حدث لها كل شيء بسببه. عضت على شفتيهـا. لقـد أصيبت وألقت بنفسها في أحضان رجل غريب مثل هرّة متوحشة

بدأت تتمنى لو أنها لم تأت إلى هذه الحياة!

«هل تشعرين بالبرد؟»

«كلا».

كانت تحدق في الأرائك البيضاء وهو ينظر إليها. وفي صمت تطلعت إلى رؤوس الأشجار ثم التفتت نحوه.

عيناه الرماديتان تعكسان الهدوء الصفاء. وأدركت فوراً أنه يحاول أن يكون لطيفاً معها. أرادت أن تشرح له سبب تصرفهـا اللاواعـي عندمـا كان على الشاطىء. كانت تحس برغبة في الصراخ، لكن لا شيء يخرج من فمها. كانت ترغب في الشعور بالاطمئنان والارتياح، ولاحظت فجأة قوته الناضجة ونظرات المتفهمة، فاحمرّت خجلاً وأقنعت نفسها بأن أحمرار وجهها عائد إلى الحرارة التي تنبعث من أعماقها.

أحضر كيم على صينية فضية فناجـين القهـوة المصنوعـة من الخـزف الصيني.

«شكراً يا كيم».

كان الرجل الغريب يدير لها ظهره. شعره الأسود الكثيف وكتفاه العريضتان كلها تدل على مقدرته. وكانت يداه تتنقلان بدقة وانتباه. إنهما نظيفتان تشيران

إلى أنه لا يستعمل الآليات والشحوم. لم يكن يرتدي ملابس السياح الفاقعة، ولا بذلة رجال الأعمال الأنيقة. إنما يرتدي سروالاً من الكتان البيج وسترته كاكية ذات أكمام قصيرة ليس هو إذن برجل أعمال أو ضابط أو مزارع. ليس فقيراً ولا سائحاً. من هو إذن؟ من دون شك إنه انكليزي. رغم أن عدد الانكليز ليس كبيراً في هذه الجزر.

قدم لها فنجان قهوة. ثم قدم إليها صحناً وضعت فيه الحلويات والبسكويت، حتى لا تتحرك. تناولت قطعة حلوى وقالت:

«شكراً».

راح يحتسي قهوته في صمت. فجأة قالت تينا باستغراب وخجل:

«آه! لقد أكلت تقريباً كل الحلوى، من دون أن أعي ذلك».

«لا شك أنك كنت جائعة؟»

«من دون شك! لم آكل شيئاً منذ الصباح. لقد خرجنا للسباحة. لا شك أنك تعتبرني فتاة لا تطاق، أليس كذلك؟»

«إن هذه الحلوى هي خصيصاً لك. أرجو أن تأكليها كلها».

«صحيح، هل في امكاني ذلك؟»

طبعاً. وهذا فنجان قهوة آخر».

ثم استدار يحدق في البحر وسألها:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟»

حاولت النهوض للذهاب، لكن لذهولها، أوقعت محتوى فنجانها على الوسائد. ولم تعرف ماذا تفعل. أرادت تنظيف ما فعلته فقال لها:

«اتركي كل هذا. الأمر ليس خطيراً للغاية».

«بلى، دعني أنظف الأوساخ التي سببتها».

راح يتفرس فيها وهي أرادت الاختفاء و يداها المرتجفتان وضعتا الفنجان على الصينية. راح يلامس شعرها و يقول:

«هل يستحق كل هذا العذاب؟»

«من؟»

«ذاك الذي كنت تهربين منه...»

«لم أكن هاربة من أحد».

كانت مرة أخرى على وشك البكاء، لكنها تقلصت وضغطت يديها بشدة على صدرها.

نظر إلى معصميها الصغيرتين المتقلصتين وشعر كم هي قوية خيبة أمل هذه الفتاة.

«اعذريني... اعتقدت أنك... كم عمرك؟»

«أيّ عمر تعطيني؟»

«١٤ سنة ونصف».

شعرت أنه يسخر منها فقالت:

«سأبلغ السادسة عشر في شهر نيسان / أبريل».

«بل نحن الآن في شهر مايو / أيار. آه هكذا إذن، أنت في الخامسة عشرة أليس كذلك؟ وهذا الشاب فرنسي، أليس كذلك؟»

«كيف عرفت؟»

«سبق ورأيتكما معاً الأسبوع الفائت. كنتما في الباخرة. بصراحة لا أجد ذلك الانسان الذكي، الرائع».

«كيف تجرأت وراقبتنا؟ كانت المرة الأولى التي...»

«يعانقك ... نعم، عرفت ذلك».

أزاحت نظرها عنه كي لا يلاحظ توترها. رآها في عناقهما، في اللحظة التي اعتقدت أنها ستكرس حياتها لحب بيار. لكن فجأة، أبعدها بيار عنه. شيء ما أبعدها عنه، ربما خوفها من عناق آخر. لن تشعر بعد الآن بمثل هذه السعادة وهذه النشوة.

«كنت عاقلة إذ تخلصت منه. هل تعرفين أنه أكبر منك بثماني سنوات على الأقل».

«هذا غير صحيح. كيف تجرؤ على قول مثل هذا الكلام؟ ليس كبيراً جداً بالنسبة إليّ. أنت تتكلم مثل أبي!»

«إن والدك لا شك رجل فطن ونبيه! هل يعرف أن ابنته تغازل شاباً فرنسياً بدل الذهاب إلى المدرسة؟»

نهضت وقالت:

«والدي يعرف تماماً من أنا! إنه يثق بي. قهوتك لذيذة، لكن استقبالك ليس كذلك!»

«الحقيقة تجرح. الانكليز ليسوا ساحرين كالفرنسيين! حسناً، يكفي ما قمت به. حاولي أن تمشي لنرى وضع كاحلك».

أطاعته من دون أن تلاحظ أنه يأمرها. كان يراقبها. كانت تتأرجح فقال:

«آسف لأني صفعتك منذ قليل».

لم يكن في وجهه أيّ أثر للسخرية. قطف غصناً من شجرة الزيتون المتدلية فوق الشرفة وقدمها إليها فقالت:

«شكراً. لا داعي لذلك».

«خذيه. هذا الغصن يعني أننا تصالحنا وأن السلام يعم المكان».

ثم قطف زهرة وقدمها إليها. إنها رمز الحب. وضعتها في شعرها وابتسمت.

فقال:

«أخشى أن أقول لك أن عليك الانتظار قبل أن تضعي زهرة الحب الحقيقية.»

«لا أحب رائحة زهرة الحب. إنها قوية. عمتي ويني تقول ان هذه الزهرة تسبب لها صداعاً قوياً. لكنها جميلة وعطرها لذيذ».

«الزهرة هي رمز الحب سيعلمك ذلك. وستتذكرين أن شاباً فرنسياً جعلك يوماً تبكين».

نظرت تينا إلى البعيد وقالت:

«سيعود إلى بلاده غداً. وسيتزوج من حبيبة طفولته. إنه زواج مصلحة كما هي الحال في العائلات الكبيرة».

«نعم، اعرف ذلك».

«كان يحبني وكان يذكر ذلك في رسائله... تلك الرسائل الجميلة!»

وتوقفت ثم تابعت تقول:

«وذات يوم، عاد ليساعد بول في الفندق. كان يقول انه وقع في غرام هذه الجزر، لكن...»

توقفت عن الكلام من جديد بعد أن شعرت بعجزها عن متابعة الحديث تقلصت عندما تذكرت عناق بيار وكلماته: «إنها المرّة الأخيرة، يا حبيبتي الصغيرة، عما قريب سأصبح رجلاً متزوجاً».

رفعت رأسها بفخر. لن تسمح بعد الآن لأي رجل في العالم أن يدعها تبكي من أجله. قالت:

«لا أبالي لغيابه، عليّ الأهتمام بأبي. إنه في حاجة إليّ!»

«إنك تحبين والدك كثيراً، أليس كذلك؟»

«ليس هناك من هو أفضل منه في العالم كله!»

استراحت في الكرسي الهزاز وشعرت بارتياح وقالت:

«إنه يتمتع بذكاء كبير. إنه جان ريمون، الرسام المشهور. هل سمعت عنه؟»

الـ الرجل الغريب إليها وقال:

«نعم. لقد سمعت عنه. أود أن أرى رسومه مع أنني لست خبيراً بالرسم. إنـه يعيش في تاهيتي، على ما أظن؟»

«نعم. لكنني جئت إلى هنا كي أرى فاي و بول وحسب».

«نعم لقد سبق وقلت لي ذلك».

«إنهما متزوجان منذ ثلاثة أشهر. كانت فاي جارتنا وهي بالنسبة إليّ الأخت التي لم أحصل عليها. إنهما يسكنان في منزل في قرية أكايا، ويودان تحويله إلى فندق. السيّاح يزداد عددهم يوماً بعد يوم. إن بول شقيق بيار».

«وأنت، أليس لديك أخوة؟»

ظلّت تينا لحظات طويلة صامتة. كانت تتأمل الخنشار الأخضر والورد الأحمر. الحديقة رائعة وتنحدر بلطف نحو البحر.

«إننا وحيدان أبي وأنا... أمي ماتت وهي تضع أختي. لم يتمكن الأطباء من انقاذها...»

ران صمت قطعه الرجل الغريب سائلاً:

«كم كان عمرك عندما ماتا؟»

«سبع سنوات».

تذكرت هذه المرحلة من طفولتها وكأن شيئاً غير منتظر جعلهـا تضطـرب وتقول:

«هذا يبدو لي قريباً جداً وبعيداً جداً، في الوقت نفسه... لكن حان وقت الذهاب. سيفكرون أنني اختفيت أو تهت».

«سأوصلك على دراجتي النارية، ما رأيك؟»

«لا أريد أزعاجك أكثر...»

«لا، لن تستغرق الطريق أكثر من عشر دقائق».

دخلت إلى الغرفة الأخرى واجتازت الصالون المفروش ببساطة ثم بهواً كبيراً انتهى بها إلى الخارج. توجها نحو الحديقة وكانت الدراجة النارية القديمة في انتظارهما. تنشقت عطراً جميلاً وسألته:

«هل هذه رائحة الفانيللا؟»

«نعم».

لم يبد مكترثاً بالحديث عن المزروعات، مما فاجأ تينا قليلاً.

هذه هي إذن المزروعات المشهورة التي لم تكف فاي عن التحدث عنها. إنها تشمل نصف الجزيرة. لكن هذ الغريب لا يبدو مزارعاً أبداً.

قال وهو يقدم لها سترة زرقاء:

«خذي هذه، ارتديها فوق بدلة السباحة. لا يمكنك أن تذهبي هكذا على الدراجة.

السترة كانت واسعة فاضطرت إلى طيّ أكمامها الكبيرة قبل الجلوس على المقعد الخلفي وراءه. شعرت بانزعاج لوجودها قربه وكأنها تلتصق به.

«يمكنك أن تتمسكي بي إذا كنت خائفة. لن أسرع».

هزت رأسها من دون أن يراها، لكنها لم تجرؤ على التمسك به.

اجتازت الدراجة النارية مكاناً تجتاحه الأشجار والنباتات والعراتش والدوالي المتشابكة بعضها ببعض. أقراط الموز تبرز هنا وهناك وأوراقها الطويلة جعلت تينا تتعلق بصدر السائق.

«أما قلت لك!»

أخيراً اقتربا من الفندق. فقالت تينا:

«يمكنك أن تنزلني هنا».

«لم أكن أنوي الذهاب أبعد من ذلك!»

«عفواً... لا أعرف إذا كان بيار...»

ومن دون كلمة أوقف المحرك وقال:

«هيّا انزلي، سأتركك هنا».

«أشكرك كثيراً، يا سيد... لكن لا أعرف أسمك!»

«هل للأسماء أهمية؟ تذكري فقط ما قلت لك».

ابتسم فقالت:

«لقد علمتني الكثير، يا سيد...، سأحاول التفكير بما قلته لي».

«بعد سنوات، ستحبين عدداً لا بأس به من الرجال... وتنسين بيار».

«أبداً!»

عضت على شفتيها فقال:

«هل تراهنين على ذلك؟»

«كلا. هل تسخر مني؟»

كانت غاضبة وهي تصافحه. فاختفى في سحابة غبار من دون أن يلتفت وراءه.

«يا له من إنسان».

بقيت تينا مكانها، مذعورة. مزقت المنديل الأبيض حول كاحلها في غضب، ولاحظت أنها ما تزال ترتدي سترة الرجل الغريب. دخلت إلى المنزل ولحسن حظها لم تر أحداً يعترض طريقها. أغلقت باب غرفتها وشعرت أخيراً بالأمان. الحق على بيار، ثم هذا الرجل الغريب ونصائحه المتتالية...

كل هؤلاء الرجال! بجاذبيتهم ونصائحهم! إنها تكرههم...

٢ ـ بعد ثلاث سنوات

كان العيد رائعاً!

تركت تينا نفسها تسقط في المقعد. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. المدعو الأخير وهو جوي طبعاً، ذهب لتوه. وانغلق الباب على الضجة المرحة. لم يبق إلاّ العمة ويني وابنتها فاي، التي كانت توضب الكؤوس، وكذلك هذا الرجل المشعّ، جان ريمون الذي كان يحشو غليونه للمرّة الأخيرة وهو يتأمل ابنته بحنان ويقول:

«هل أنت سعيدة؟»

رمقت فاي بنظرة متآمرة وقالت:

«نعم. أريد أن يبدأ كل شيء من جديد!»

«آه، لا! كيف تشعرين وأنت الآن في سن الثامنة عشرة؟»

«رائعة!»

«هل أنت غيرك عندما كنت في السابعة عشرة؟»

«مختلفة تماماً».

كانت تينا سعيدة وهي تقول:

«إنه أجمل يوم في حياتي!»

«إني سعيد من أجلك، يا ابنتي الحبيبة».

نظرت تينا إلى الأشخاص الثلاثة الذين يبتسمون لها. فتأثرت وراحت ترى من جديد حفلة عيد ميلادها الرائعة التي كانت تتويجاً للحب الذي يجمعهم. إنهم يدللونها و تينا سعيدة بحظها الكبير...

وعندما توجهت العمة وريني إلى المطبخ قالت تينا لوالدها:

«لقد فعلت الكثير من أجلي اليوم، يا أبي. ولا أعرف كيف أشكرك، أو بالأحرى، كيف أشكركم جميعاً».

أجابها في صوت مرح:

«هل أنت متأكدة أنك تستحقين ذلك؟»

رمقته تينا بنظرة مليئة بالعتاب. كانت ترى بعض السخرية في عينيه، أخذت تلملم الكؤوس بعصبية وقالت:

«لدي أب، قلبه من رخام! ستكون أنت المسؤول إذا استيقظت في مزاج سيء».

«انظروا إلى هذه الكذابة الصغيرة!»

لم تكن قادرة على أن تحبس مرحها ونشاطها. فقالت:

«أبي عليك أن تهيء حقائبك! غداً ستسافر في الطائرة الأولى. لا تتباطأ».

بدأت تينا تنظف كل شيء تساعدها فاي. وقالت:

«من زمان لم نتمتع بيوم عطلة. هذا ليس سهلاً والفندق مليء بالسياح».

وافقت تينا. في كالوها الفندق يستقبل مجموعة من السياح الأميركيين اتوا خصيصاً لقضاء نهاية الأسبوع في هذه الجزيرة الصغيرة. إضافة إلى أن بول مضطر لأن يهتم بتوأميه، فلم يتسن له حضور حفلة عيد ميلادها. وفاي لا تصدق متى يحين موعد عودتها للأنضمام إلى زوجها وولديها. كانت

ترتب الطاولة بسرعة وتبتسم وتقول:

«إنك لم تأت لزيارتنا في هذه الأيام الأخيرة... لاشك أن جوي شاب جذاب».

«جوي لا يجذبني أبداً. إن تفكيره محدود للغاية!»

«وأنت، ألست في سنه؟ أنا أراه شاباً لطيفاً. والآن حان وقت الاخلاد إلى النوم. ستخبريني قصصك الغرامية وأنت في فراشك. لقد مضى وقت طويل من دون أن أهتم بأختي الصغيرة!»

في هذا المساء، التقت فاي و تينا مرّة أخرى في الغرفة نفسها التي كانت تجمعهما عندما كانتا لا تزالان صغيرتين، وحيث كانتا تتبادلان الأسرار. أما اليوم فليس لدي تينا شيء تخبره عنها وعن جوي.

«جوي يهتم بالفنون. إنه يأمل أنْ يسمح له والدي بمتابعة دراسته في هذا الاتجاه. وهذا هو السبب الذي من أجله يأتي جوي دائماً لزيارتنا».

«كان ينظر إليك بطريقة مختلفة، هذا المساء. لقد سمعته يقترح عليك أن تسمحي له بالسهر على المحترف خلال غياب والدك».

«إنه يعتبر نفسه شخصاً مهماً! يعتقد أنه يؤثر على والدي بسبب عدد اللوحات التي يبيعها إلى السياح».

كانت تينا متحمسة، لكن عدم مبالاتها بجوي أمر واضح وظاهر.

فجأة سطع على الجدار بريق أحمر متأرجح. لا شك أنها شعلة النار الموقدة على الشاطىء. وسمعت أصوات الغيتارات وبدأ الغناء. أغمضت تينا عينيها، فقالت لها فاي:

«أسفة أن عيد ميلادك ليس غداً، لكان تسنى لبيار أن يأتي لحضوره ونحتفل بعودته في الوقت نفسه».

تقلصت تينا وتمسكت بالغطاء وقالت:

«في كل حال كان من المستحيل الاحتفال بعيد ميلادي من دون وجود والدي معي وهو ذاهب غداً»

«نعم، بالطبع».

«لم يكن بامكان والدي أن يبقى يوماً واحداً. يجب أن يصل إلى سان فرانسيسكو في الغد. عليه أن يشرف على تنظيم معرض لرسومه في هونولولو. كنت أود الذهاب معه، لكنني مضطرة لأن أبقى في المحترف، إضافة إلى أننا في حاجة إلى المال».

«وجوي؟»

«إنه ذاهب هو الآخر».

ران صمت تبعه تحرّك في السرير من جانب فاي التي ما لبثت أن سألت تينا:

«ألا تؤثر عودة بيار عليكِ في شيء؟ لم تقولي شيئاً عندما كنا نتحدث عنه اليوم!»

«لا!»

«ألا تتذكرين إذن الاحساس الذي كنت تشعرين به تجاه شقيق زوجي؟»

«لم يسبق أن أنجذبت إلى أيّ رجل!»

«آه، يا لذاكرتك الضعيفة!»

كانت فاي مرحة مما أزعج تينا التي قالت:

«في كل حال، لا أريد أن أتذكر هذا الرجل الذي عذبني كثيراً».

«لكن، هذا هو الحب، يا عزيزتي! إنه ليس متعة، بل تعهد والتزام!»

«آه، صحيح! لكن أبناء تاهيتي لا يحبون هكذا. إنهم سعداء وطبيعيون أكثر منا!»

«أنت لست تاهيتية!»

«ولدت هنا، إذن أنا تاهيتية بالولادة».

وضعت فاي رأسها على الوسادة وقالت:

«يوم تقعين في حب رجل، آمل أن يتمتع هذا الرجل بقوة ليستطيع أن يتحمل مزاجك الغريب وتدمير أفكارك الخاطئة».

«أرجو ألا تعظيني يا فاي! لست أكبر مني سوي بثلاث سنوات. صحيح أنك امرأة متزوجة وأم لولدين، لكن هذا لا يعني أنك مؤهلة لأن تقدمي لي النصائح!»

نهضت فاي من سريرها ووقفت قرب سرير ابنة خالها وقالت:

«تينا! إني آسفة، لم أكن أريد انتقادك».

«قلت ان أفكاري تافهة وحمقاء! إنك تعاملينني كأني ما أزال فتاة صغيرة. لقد أصبح عمري ١٨ سنة».

«لقد دللك والدك كثيراً. ونحن أيضاً...»

تنهدت فاي ثم أضافت:

«أنت على حق، بالنسبة إلى أختي الصغيرة، ثلاث سنوات ليست شيئاً، لكن الزواج والأولاد وخبرة هي أهمّ واعظم من السنوات».

بهذه الكلمات سكتت فاي. فقالت تينا:

«عفواً! إن ما قلته كان نتيجة التسرّع!»

«لا بأس».

وضعت فاي يدها على كتف تينا وقالت:

«كان نهاراً طويلاً. علينا أن نستريح وننام».

وافقت تينا وتكوّمت بين الأغطية. لو عرفت المرأة السبب الحقيقي لأنزعاجها لكانت سخرت منها، لكنها لم تعرف شيئاً عن مغامراتها السابقة مع

«عندما يعود والدك من رحلته، لماذ لا تأتين لزيارتي ولقضاء بضعة أيام معنا؟ والدتي تهتم به»

شعرت تينا بالاحراج، فأسرعت فاي تقول:

«هل تعرفين أن بول طلب مني أن أدعوك؟ قال لي:« إذا لم تتوصل تينا إلى تسلية بيار، فلا أعرف من يمكنه أن يقوم بذلك!» لم يسبق أن امتدحني أحد من قبل».

«أنا؟... إنني... آه! لا».

«بلى، بلى... كان بيار دائماً نقطة ضعفك، أليس كذلك؟ حتى ولو كان قاسياً تجاهك. إن بول متضايق مما جرى بين بيار و مادلين. لم يكن زواجاً ناجحاً. وبيار رفض المصالحة ولهذا السبب قرر العودة إلى هنا والعيش معنا».

لم تقل تينا شيئاً. إن ذكرى بيار توقظ فيها الألم وهي لا تريد أن تراه.

تابعت تقول:

««ليس في جزيرة كالوها ما يسليَ. هناك، كورين، لكنها ليست من نوع النساء الذي يحب. إنه في حاجة إلى امرأة تستطيع إسعاده».

«لا أجد نفسي شجاعة بما يكفي لأقوم بهذا الدور. لم أكن سوى فتاة صغيرة عندما ألتقينا. ربما لن يعرفني».

«سنرى ذلك غداً. هل تعتقدين حقاً أنه نسي فتاته الشريرة».

«فتاته الشريرة؟ أهكذا كان يسميني؟»

«في كل حال، كنت تبدين هكذا! لقد رفضت أن تودعيه في المطار. ما الذي جعلك هكذا!؟»

«لا أذكر شيئاً وأفضل أن أنام قبل بزوغ الفجر!»

سألتها فاي بلطف:

«ستأتين معنا لاحضاره من المطار، أليس كذلك؟»

«نعم».

وراحت تينا في سبات عميق. إن أحداث النهار انستها عودة بيار. عليه أن يساعد أخاه في الفندق لمدة لا تقل عن السنة.

كانت في ما مضى سعيدة لرؤياه. أما اليوم، فلا يشكل بيار بالنسبة إليها إلاّ ذكرى مريرة لحبها الأول الحزين. إن حبها انطفأ إلى الأبد.

خلال فترة قبل الظهر، لم يتسن الوقت لأن تفكر في بيار. سفر والدها كان بالفعل هاجسها الأول. إن هذا الفنان الهادىء أصبح فجأة سريع الغضب تجاه الأمور العادية، كالبحث عن جواز سفره، أو تذكرة السفر أو الشيكات... وبمساعدة العمة ويني وجهود تينا وصل جان ريمون إلى المطار ومعه كل المستندات والحقائب اللازمة. لم يبق لديه غير وقت قصير لتوديع ابنته العزيزة، وتحذيرها من بيع بعض اللوحات المهمة مهما كان السعر المعروض ونبهها ألا تنسى أن تردّ على رسالة نسيبها تطلب منه كتابة مقال عن الرسام غوغان المشهور...

وعدته ألا تنسى شيئاً وبعد القبلات وكلمات الوداع، صعد جان ريمون إلى الطائرة مع المسافرين.

عادت تينا إلى المنزل لتساعد الخادمة فيوليت في توضيب المحترف. وفي نهاية فترة قبل الظهر كانت منهكة تعبة.

فاي وبول ذهبا للقيام ببعض/المشتريات. رفضت تينا تلبية دعوتهما لتناول الغداء برفقتهما، لأن الوقت لا يسمح لها بذلك، ففضلت أن تتركهما لوحدهما. واكتفت بتناول سندويش واحتساء الليموناضة. ثم أخذت دوشاً وركبت

دراجتها متوجهة إلى صالة العرض لتلقي نظرة على لوحات والدها.

في المعرض أبرز أعمال الفنان. وفي زاوية معدة على الطريقة التاهيتية كان أضخم انتاجه معروضاً.

عندما يتغيّب والدها، يصبح في امكان تينا أن تأخذ حريتها في تنظيم المكان. كانت تعرض هنا وهناك الأشياء المنحوتة، كالرموح، والطبول... ولا تنسى أن تزين الجدران بالعقود المصنوعة من الأصداف.

أما اليوم فقد اكتفت بترتيب لوحات والدها ووضع علب التلوين في أماكنها وهكذا متى عاد، يبدأ العمل إذا كان مزاجه يسمح له بذلك...

كان الاقبال عادياً على شراء لوحات جان ريمون، ومع ذلك كان على تينا أن تدهن المحترف وهذا العمل سيشغلها طيلة فترة بعد الظهر وسيحل الليل بدون أن تشعر بالفراغ.

تذكرت لقاءها المنتظر مع بيار. لكن لم تعد تلك الفتاة الصغيرة الساذجة. في الحقيقة، إنها لا تبالي كثيراً إن هي رأته من جديد أم لا...

توقفت عن العمل واعدت لنفسها فنجان شاي. لم يبق لديها إلا القليل من الوقت للعودة إلى المنزل والاستعداد لاستقبال فاي و بول. كانت تفضل لو أنهما ذهبا من دونها فهي تريد البقاء هنا في المحترف.

أخيراً نهضت وغسلت الفنجان وأقفلت الباب واستقلت دراجتها.

بينما كانت تقود دراجتها سارحة في افكارها، توقفت قربها سيارة وخرجت منها فاي التي كانت ترتدي بزّة بيضاء وتشد شعرها بربطة سوداء. راحت تتأمل ملابس تينا: سروال جينز وردي وقميص معرقة قذرة.

«أين كنت؟ انتظرناك مدة طويلة!»

«كنت أنظف المحترف، لأنه كان في حال يرثى لها!»

فهمت تينا معنى نظرات فاي، لا يمكنها الذهاب إلى المطار بهذه الملابس الوسخة.

«آه، المعذرة. لقد مرّ الوقت بسرعة. لماذا لا تذهبان من دوني؟»

أطلّ بول من نافذة السيارة وقال:

«طبعاً لا. هل هناك أي مانع لذ ».

«ماذا؟ صحيح يا تينا إنك تبالغين! ما زال لدينا بعض الوقت لنذهب إلى منزلك!»

«لا داعي لذلك! إني أحب عفوية تينا».

أخرج بول منديله وراح يمسح بقع الوسخ عن جسم تينا وقال:

«لا تتحركي. اعتقد أن لي الحق في أن أفعل ذلك».

ضحكت تينا وقالت في نفسها:« يا لتصرف بول البريء». ثم قالت:

«شكراً يا بول. والآن سأسرح شعري وينتهي الأمر».

أعطتها فاي علبة حمرة الشفاه، لكن تينا رفضت أن تضعه واكتفت بتسريح شعرها الطويل الذي ينسدل بشكل شلالات شقراء على كتفيها. فاي التي كانت ترتدي ثياباً أنيقة. نظرت إليها مستغربة وودت لو أن بامكانها أن تأخذها إلى المنزل وتساعدها على ارتداء ملابس نظيفة وأنيقة. بول كان هو أيضاً يرتدي بزّة أنيقة وقميصاً بيضاء ورمادية. فجأة تساءلت تينا: هل كان من الافضل أن ترتدي فستاناً في هذه المناسبة. ابتسمت. قبل ثلاث سنوات، كانت قد أمضت النهار كله في اختيار ما ترتديه وتزين وجهها. ووالدها كان يكره أن يراها واضعة الكحل والحمرة على وجهها. كم كانت تافهة في سن الخامسة عشرة!

بدأت تينا تشعر بعصبية عندما اقتربت من المطار. وبينما كان بول

يركن سيارته، حطت الطائرة. ووصلوا إلى الداخل في الوقت المناسب لخروج الركاب. شاهدت بيار وسط مجموعة الناس واستعدت للسيطرة على أي اضطراب أو انفعال في داخلها. لكنها لم تشعر بشيء من هذا. لم يتغيّر بيار عما كان عليه وهو ما زال يحافظ على ابتسامته التي كانت تجذبها. وبعد أن قبل بول و فاي التفت نحو تينا وأمسك بيديها وقال:

«هذه هي تينا كم كبرت!»

«ليس تماماً».

طبع قبلة صغيرة على خدها، فلم تشعر بشيء. وطبعت هي قبلة على وجهه وفجأة تقلصت.

من وراء كتفي بول فوجئت بنظرة رمادية. كان الرجل يتكلم مع أصدقاء له، لكن نظراته كانت مسمّرة على تينا.

ابعدت يديها عن يدي بيار وعرفت من هو هذا الرجل. إنه ذلك الرجل الغريب الذي التقته قبل ثلاث سنوات والذي وجهت إليه كلاماً جارحاً على الشاطىء الفارغ لأنه رآها تبكي ألماً، ومع ذلك ساعدها وأحاطها بعنايته. وها هو الآن يتذكرها و يعرفها.

كان يحدق في بيار ثم بتينا من جديد كأنه يرى وجهها الصغير المعذب وأحذيتها المثقوبة. كان يوّد أن يقول لها شيئاً، لكنه أدار وجهه عنها وابتعد بخطوات عريضة بدون أن ينبس بكلمة.

لم تصغ تينا لما كانت فاي تقوله ولم تشعر بالذراع التي امسكت بها.

«تينا! اعتقدنا أنك رأيت شبحاً ما!»

«لا. لا».

استعادت وعيها. بيار يرغب في تناول العشاء في أحد المطاعم قبل التوجه

إلى كالوها، لكن بول و فاي مترددان في اتخاذ قرار.

«لا تهتما للموضوع. اعتقد أن في استطاعتكما الاتكال على روزا و جول للأهتمام بالفندق، أليس هذا صحيحاً؟»

قالت تينا:

«إن بول ثابت القدم ورابط الجأش وهو أفضل منك!»

«أما زلت تتذكرين؟ أما زلت لا تثقين بي! لنذهب لزيارة العمةويني».

أمسك بفاي من جهة و تينا من جهة أخرى وتوجه إلى الخارج بينما كان بول يهتم بنقل الحقائب.

وصل الجميع إلى فيللا العمة ويني التي كانت بانتظارهم. إنها تحب بيار حتى الجنون وهو لا يتوقف عن إطرائها. واغتنمت تينا هذه الفرصة للأنسحاب كي تغير ملابسها.

كان الليل قد هبط عندما وصلت إلى البنغالو المقفل في غياب والدها. أخذت دشاً سريعاً وارتدت فستاناً محزماً بلون حجر الجاد الذي يليق بها تماماً ويظهر أناقتها وجسمها الجميل. زيّنت وجهها. كان يلمع أحياناً في عينيها الخضراوين بريق استخفاف واحتقار. وغريزياً عرفت أن بيار يشتهيها. قررت أن تدعه يتصرّف كما يرغب، كي يكتشف بنفسه خطأه. لم تعد تلك الفتاة البريئة التي هجرها.

كانت محقة في تفكيرها. منذ وصولها لم يكف بيار لحظة واحدة عن إحاطتها بلطفه والتغزل بها. ولما وصلوا إلى المطعم، كانت تينا تكاد تطير فرحاً. وكانت مدينة تاهيتي في كل رونقها: الفتيات المغطاة بأكاليل من الزهر، والقيثارات وكل سحر الليل في هذه المنطقة الاستوائية. تركت تينا نفسها تسترخي كأنها احدى النساء الثريات النازلات من يختهـا لتتذوق الأشياء

الغريبة الساحرة.

همس بيار في أذنيها بينما كانا يرقصان:

«كم تغيّرت! اعتقد أني لن أملّ من وجودي هنا، بين تاهيتي و كالوها».

«ظننت أنك تعاني من آلام الحب؟»

«ومن يستطيع تخفيف آلامي؟»

أجابت في جفاء:

«ليس عندي الموهبة للقيام بذلك».

تأملها وقال:

«كم كبرت، يا قمري الصغير».

«إني أدعى تينا!»

أوشكت القطعة الموسيقية على الانتهاء. عنصر الدهشة فعل مفعوله. لم تكن تينا على استعداد لتجعل بيار يشعر بأنها تريد أن تتجاوب معه. هل لديه قلب يحن، هذا الشاب الجذاب؟

ومن دون أسف، عادت إلى طاولة بول. كلهم يضحكون فرحاً. وتينا لبت دعوة بيار إلى الرقص من جديد.

«هناك أمر أريد أن أبحثه معك».

ومن دون انتظار ردة فعلها، أخذها بعيداً عن حلبة الرقص ثم أزاح الستائر السميكة التي تغطي باب الحديقة. هناك مجموعة من الأصدقاء يتنزهون تحت الأشجار المعطرة. والمصابيح تعكس نوراً وردياً ناعماً. توقف بيار وراء سبيل تتساقط منه المياه بشكل شلالات. حدّق فيها بعينيه الداكنتين فسألته بفارغ صبر:

«إذن ما هو السر؟»

«حبيبتي، لم تعودي كما أنت عليه. سبق وقلت لك هذ الكلام مرّات عديدة منذ أن وصلت».

كانت تضحك سراً وأضافت:

«هل كنت تظن أنك ستجد الفتاة الصغيرة السلاذجة التي عرفتها منـذ ثلاث سنوات يا بيار لامونت؟»

«كلا! لكني كنت آمل أن تسامحيني».

«أن أسامحك؟ ماذا تعني؟»

«وأسفاه! ماذا عليّ أن أفعل؟»

«لا شيء. كفى. إننا ندور في حلقة مفرغة».

أرادت الذهاب، لكن قبل أن تتقدم خطوة واحدة، أمسك بذراعها وأوقفهـا مكانها في قسوة وقال:

«إذا كان صعباً أن أخبرك ما يجول في قلبي في طريقة لائقة، فسأجد طريقـة أخرى.. إني أعرف جيداً أنك كنت تحبينني منذ ثلاث سنوات. هل نسيت ذلك»

«لا، لم أنس! لكن لم يعد هناك شيء نتحدث فيه بشأن هذا الموضوع المؤسف. دعني».

حاولت التخلص من قبضته، لكن بلا جدوى. لم يكن يصغي إليها، كان يمسكها بكل قواه.

«ربما كنت ما تزالين صغيرة، لكنك كنت تحبينني. هل كنت تريدين، أن أغريك أنت، الفتاة الصغيرة».

«كنت مستعداً لذلك، أليس كذلك؟»

«لا».

ضغط من جديد على يدها. كان في امكانها أن ترى أسنانه البيضاء بين شفتيه

الساحرتين.

«لم أنس ما حصل في الماضي، وإنني آسف لذلك».

«إنني لا أصدقك. إنك شاب عاطفي، لم تكن قادراً على مقاومة رغبتك في استمالتي، حتى ولو كنت في نظرك فتاة ساذجة. في كل حال، لم أكن، لحسن الحظ سوى فتاة صغيرة».

«ماذا تعنين؟»

«أريد أن أقول ان ذلك أتاح لي أن أفكر وألا أتعذب. والآن اتركني أريد أن أعود إلى طاولة بول».

تطلع بيار إلى وجه تينا المحتقن ثم تمسك بها وجذبها بقوة وعانقها. كانت تينا تتخبط محاولة التخلص منه، لكنه كان يضغط عليها بكل قواه. وأخيراً توصلت إلى الابتعاد عنه وقالت:

«هل صرت مجنوناً؟ اذهب عني، هل تسمعني، اذهب عني».

«هل فهمت أيها السيد؟!»

خرجت هذه الكلمات في صوت هادىء. فقال بيار:

«من أنت؟»

«هذا لا يهم. دعها وشأنها».

عرفت تينا هذا الصوت. إنه الرجل الغريب، يقف بينها وبين بيار.

«يبدو أنك احتجت إلى وقت طويل كي تتعلمي الدرس. التحقي بأصدقائك ولا تجبيرني إلى التدخل مرة ثالثة».

تفرست تينا فيه لحظة. مرّة أخرى انه الشاهد الوحيد على كل ما عانته وتعانيه من إهانات وقالت:

«شكراً، ولكن لن يكون هناك مرّة ثالثة».

أجابها ساخراً:

«إنني أتحداك. هل تراهنينني على ذلك».

شعرت وكأن الدموع تحرق عينيها وقالت:

«لا. لا أريد المراهنة».

٣ ـ شيء ما سيحدث!

استيقظت تينا في اليوم التالي على إحساس غريب بأن شيئاً ما سيحدث.

ما هي يا ترى حقيقة هذا الشعور؟ وماذا يمكن أن يحدث في هذا اليوم؟

عاد فالي و بول إلى الفندق ومعهما بيار. لم يحن الوقت بعد لتتوقع تينا وصول رسائل من والدها الذي سافر أمس. العمة وبني منصرفة إلى عملها اليومي لكن ينبغي مراقبة ما يجري في المحترف. وعندما يأتي جوي و رينا ليحلا مكانها فسيكون في امكانها أن تستريح. قد تذهب إلى البحر، تسبح أو تتمشى على الشاطىء، أو تتناول فنجان قهوة على رصيف المقهى، وعند المساء في امكانها أن تذهب إلى النادي وترقص... لا، إن كل هذا هراء، لا شيء تفكر فيه يعجبها.

كيف وقع بيار في غرامها، ولماذا تصرف تصرفاً خاطئاً أثناء السهرة؟ يبدو أن بيار بعد ذلك الزواج الفاشل، لا يبالي بأي شيء... إلا أن ذكرى ما حصل معه في الأمس، أزعجتها ومن الأفضل أن تأخذ دوشاً وترتدي ملابسها

مرّتان في حياتها التقت فيهما ذلك الرجل الغريب، وفي المرّتين كانت الأوضاع متأزمة ومع بيار نفسه. وفي مزاج عكر استقلت دراجتها وانطلقت نحو المحترف.

من هو؟ متى عاد إلى المزرعة؟ سؤالان بقيا بلا جواب. كان عليها أن تسأل فاي مساء أمس في كالوها، فالجميع هنا يعرفون بعضهم البعض.

عند الظهر أقفلت تينا المحترف وذهبت لتناول طعام الغداء مع العمة ويني. بعد الغداء تمددت في مقعد مريح مواجه للبحر وبقيت جالسة هكذا وهي تفكر حيناً، وتتأمل أحياناً البحر الأزرق الممتد أمامها.

مرّات عديدة خلال زياراتها إلى كالوها أرادت تينا إحضار السترة الزرقاء معها لتعيدها إلى صاحبها، الرجل الغريب نفسه. لكنها في كل مرّة كانت تبدّل رأيها. أما الآن عليها أن تتسلح بالجرأة وتعيدها إليه.

في هذا النهار لم تكن هناك أية أثار على الرمال. الريح تجتاح المزروعات الكثيفة. البحر وحده يقطع هذا السكون. وعندما وصلت تينا إلى نهاية السلالم ترددت. المكان فارغ. صعدت، أرادت أن ترمي السترة وتهرب، لكنها سارت نحو الأبواب المشرّعة ودخلت. المقعد لا يزال في مكانه وعليه الأرائك البيضاء. فجأة ارتفع صوت خشن يقول:

«ماذا تفعلين هنا أيتها الفتاة؟»

التفتت تينا واشتبك نظرها بنظرات رجل مسن. لم تسمعه عندما كان يجتاز الحديقة. قالت مذعورة:

«اعذرني، جئت لأقابل الرجل الآخر...»

«أي رجل آخر؟»

«صاحب الأراضي هنا».

«أنا صاحب الأراضي».

«لكن... كنت أعتقد...»

«دعيني أقدم لك نفسي: اسمي هنري لاتور، والآن ماذا يمكنني أن أفعله،

آنستي؟»
«اسمي تينا ريمون، وقد جئت لأقابل الرجل الآخر. إنني لا أعرف اسمه لكنني متأكدة أنه يعيش هنا».

كفّي عن البكاء وإلا فانك ستغمرين شاطئي بالفيضان، هذه الكلمات دوت في رأس تينا. كيف تستطيع أن تشرح هذا للرجل العجوز؟
«إنني أعيش هنا وحدي مع خادمي. هل أنت متأكدة أنك لست مخطئة؟»

كانت تينا مذهولة، لكنها متأكدة أن الرجل الغريب جاء بها إلى هنا: الوسائد البيضاء، الوعاء الأزرق المليء بالثلج، الخادم كيم...«أنت ما تزالين صغيرة لتعرفي ما هو الحب». إنها تتذكر هذه الكلمات بكل وضوح وتعرف أنها لم تكن تحلم.
«إنني آسفة، ربما كنت مخطئة».

هزّ كتفيه وتبعها بعينيه. كانت تسير على طريق الشاطىء ببطء وذهول.

كل شيء واضح. مزروعات الفانيللا يملكها فعلاً هنري لاتور، منذ زمن بعيد. تردد اسمه خلال السهرة التي انضمّ إليها الكابتن روليه وابنته كورين. واحد من الرجال أراد أن يستعلم عن ابن هنري العجوز، لكنه لم يتلق أي جواب. منذ وفاة زوجته و هنري منعزل، يرفض الظهور أمام الناس ولم يعد أحد يسمع عن الشجار الذي وقع بينه وبين ابنه.

من يكون الرجل الغريب؟ ربما هو زائر عابر، أو مزارع أو تاجر أو محام. قد يكون وجوده في كالوها مرّ من دون أن ينتبه إليه أحد.

عندما وصلت تينا إلى المنزل، أسرعت إلى غرفتها تخبىء السترة الزرقاء في قعر الخزانة. ما زالت تذكر بيار والرجل الغريب وكل التصرفات التي حدثت معها.

في صباح اليوم التالي وما أن استيقظت تينا من نومها، حتى بادرت إلى أخذ السترة الزرقاء من قعر الخزانة. ثم غسلتها وهي مصممة على أن تعيدها إلى صاحبها في أسرع وقت ممكن. وفجأة أحست بانفعال غريب.

كانت على وشك البكاء، لم تعد قادرة على مواجهة بيار من دون...

«تينا، أنت هنا؟ أين كنت؟»

انتفضت تينا عندما سمعت صوت بيار الذي كان واقفاً على عتبة الباب. أضاف يقول:

«هل فاجأتك؟ سامحيني، يا حبيبتي. لم تردّي عندما قرعت الباب، لكنني كنت متأكداً أنني سأراك هنا. اسمعي، ليس لدي إلاّ وقت قصير...»

«بيار، لا يحق لك الدخول إلى غرفتي بهذه الطريقة».

اقتربت تينا من الباب وقالت:

«هذه غرفتي».

«نعم أعرف ذلك...»

أطلق ابتسامة ساخرة وهز كتفيه وأضاف:

«جئت لاعتذر منك. أرجوك، يجب أن أحدثك. عندما استيقظت صباح اليوم شعرت بشيء ما يطنّ في رأسي...»

ضرب رأسه بيده وابتسم وقال:

«أريد أن أرتبط بك من جديد. لنعود صديقين كما كنا. إنني آسف على تصرفي اثناء تلك السهرة».

كانت تينا تحدق فيه بازدراء. لن تتأثر بعد اليوم بسحر هذا الرجل. هزت رأسها تبرّماً وقالت:

«ما كان ينبغي أن تأتي إلى هنا».

«اسمعي، لو لم يتدخل بيننا السيد ثورنتون لكانت السهرة انتهت على نحو مختلف».

اقترب بيار منها آملاً أن تسامحه فسألته:

«من؟»

رفع بيار حاجبيه وقال:

«ثورنتون، هذا المتطفل الذي شاء أن يلعب دور الفارس. ينبغي أن تعرفي من هو يا حبيبتي».

«نعم، بالطبع، لكن ما هو اسمه الأول؟»

كانت تينا تبذل جهداً لتضبط نفسها.

«ثورنتون، ماكس ثورنتون!»

استغرب بيار من ردة فعلها وقال:

«كيف، الا تعرفين سيّدنا الجديد؟ لقد وصل أمس من دون اعلام أحد. جاء ليشرف على ممتلكاته، على ما أظن. للأسف من المستحيل حفظ سرّ كهذا في هذه الجزر. فلان قال لفلان أن فلاناً أشترى سيارة... من فلان... والجميع على علم بوجود الملاك الجديد لجزيرة كالوها.

«أتريد أن تقول أن ماكس ثورنتون... هذا الرجل الذي تدخل بيننا تلك الليلة هو صاحب جزيرة كالوها؟»

«جاء يهتم بنفسه بالمزروعات».

كانت تينا جالسة على حافة السرير، يداها متدليتان والسترة الزرقاء على قدميها. فقالت:

«هذا مستحيل! إن كالوها يملكها عجوز اسكتلندي لم يسبق لأحد أن رآه من قبل. في القرن التاسع عشر، أحد اسلافه وقع في غرام الجزر واشترى جزيرة

كالوها بسعر رخيص جداً. هل أنت متأكد من معلوماتك، يا بيار؟»
«تماماً، خاصة في ما يتعلق بثورنتون».
كانت تينا تشعر بارتباك وحيرة وسألته:
«هل سيتغير الوضع، أو أنه سيكتفي بقبض الايجارات؟ أتذكر عندما كان بول و فاي يتناقشان في موضوع الفندق. فأكد لهما السيد م. موران أن لا أحد يمكنه أن يمنعهما من التغيير إذا كانا يدفعان الايجار في انتظام».
«لقد كنت أعتبر دائماً أن الانكليز مجانين قليلاً. في كل حال أن الجزر هنا فرنسية وكالوها برغم صغرها هي جزيرة فرنسية».
«صحيح، لكنها كانت انكليزية قبل أن تصبح فرنسية. إن حكم الوصاية الأولى يعود إلى العام ١٨٤٢. ولم يزعج هذا التدبير سكان البلد. في أوروبا فقط الدول لا تعرف أن تتفق مع بعضها! إن ثورنتون سيعرف تماماً كيف سيتصرف في هذا الخليط الفرنسي ـ الانكليزي، إني متأكدة من ذلك.
«انك تدافعين عن هذا الرجل الغريب الذي تجرأ بكل وقاحة أن يتدخل في شؤوننا. أنا لا أفهمك يا حبيبتي».
«جئت لتعتذر أو لتبدأ شجاراً آخر؟»
هزّ كتفيه ثم نظر إلى تينا بعينين لطيفتين وقال:
«إذن، أنت تؤيدينه!»
«لست واقفة في جانب احد!»
وضعت تينا السترة مكانها وقررت أن تغيرّ موضوع الحديث فسألته:
«ماذا تفعل هنا اليوم، أليس من المفروض أن تساعد بول؟»
«هذا ما أفعله! لقد وكلني بول بزبائنه. سآخذهم في نزهة. صباح اليوم ثلاث سائحات أردن تمضية اليوم الأول من وصولهن في بابيت. وبعد ساعة

سأصطحبهن إلى هناك وأساعدهن في بعض المشتريات. أو بالأحرى سأكون دليلهن».

«إياك أن تضيعهن في الطريق!»

توجهت تينا نحو الباب وسألته:

«هل رأيت العمة ويني؟»

«نعم، لكن أنت من أريد رؤيتها قبل كل شيء. لست حاقدة عليّ، أليس كذلك؟»

«كلا. لكن أنت وأنا أمامنا أعمال يجب انجازها».

ومن دو انتظار حملت تينا حقيبتها وخرجت. لكن بيار رفض الابتعاد عنها قبل أن تعده بأن تأتي معه غداً للقيام بنزهة مع السياح. وقال لها:

«أنت تعرفين تاهيتي أكثر مني».

لم تندم لأنها وعدت. سيتسنى لها فرصة التعرّف إلى سكان البلدات الأخرى. هذه الجزيرة هي مهدها. و انكلترا لا تعرف عنها شيئاً إلاّ من الصور والمناظر التي يرسمها والدها. لديها أهل من جهة والدتها، لكن منذ وفاة والدتها، لم يرسلوا إليها إلاّ بطاقات معايدة بمناسبة عيد الميلاد فقط. هؤلاء الناس لا يحبون والدها ولم تقم تينا بأي جهد لتوثيق عرى الصداقة معهم.

اذا كانوا يعتقدون أن والدها غير قادر على تربية ابنته، يمكنهم البقاء حيث هم في الطقس البارد!

تذكرت تينا وجه والدتها الحزين عندما كانت تصلها رسائل من ذويها. وعندما كانت فتاة صغيرة لم تكن تينا تفهم حقيقة هذا الحزن. لكن بعد مرور الأيام فهمت القصة: إن أجدادها لم يوافقوا على رحيل ابنتهم إلى جزر الباسفيك. لن تغادر أبداً هذه الجزر ولا حتى لزيارة أجدادها الكئيبين. كيف تستطيع أن تهجر البحر الأزرق والألوان الزاهية والعطور والحياة هنا في

تاهيتي، التي هي لؤلؤة المحيط الهادي؟

فرحت جداً وهي تخبر السيّاح قصص البلاد وتقاليد شعبها. كما فرح السيّاح بها وبالتفاصيل الدقيقة. وفي الرحلة الثانية اقترحت على بيار أن يستأجرا بعض الزوارق لاكتشاف الزوايا الأكثر بدائية والتي لا يمكن الوصول إليها عن طريق البحر. ونجحت الفكرة وحصلت تينا على مبلغ كبير من المال.

«احتفظي بهذا المال، أنت تستحقينه يا حبيبتي».

بعد ثلاثة أيام أخبرها بيار بأن بول يقترح عليها العمل لديه. من أجل مرافقة السيّاح الجدد. بالنسبة الى بيار كان ذلك حظاً غير منتظر. ستسمح لهما الظروف بتوثيق عرى الصداقة القديمة التي كانت بينهما. و تينا لم تكن أبداً متضايقة من هذا العرض.

نسي بيار كلياً وجود ماكس ثورنتون، لأنه لم يعد يذكر اسمه بتاتاً. لكن تينا، كانت تشعر بفضول قويّ لمعرفة أخباره، لكنها لم تتجرأ أن تسأل أحداً عنه وكانت تتساءل باستمرار: أين يسكن؟ في كالوها؟ ليس في كالوها فندق آخر إلاّ الذي يملكه بول و فاي. وبكل تأكيد لا يمكن لماكس أن يعيش في منزل الكابتن روليه ولا في غرفة تينيتو، المحل الوحيد في كالوها، لا شك أنه يقطن في منزل هنري لاتور. ولكن، لماذا لم تجده هناك؟ هل يعيش في عزلة مع العجوز هنري؟ فجأة شعرت بتعاطف عابر تجاه هنري لاتور. وماذا بعد، لماذا كل هذه التساؤلات في شأن ماكس ثورنتون؟ ربما غادر الجزيرة بعدما ألقى نظرة سريعة على ممتلكاته!

بعد ذلك لم تعد تشعر بالفضول في ما يخص هذا الموضوع بالذات. مرت الأيام والأسابيع والأشهر وهي تنتظر عودة والدها.

كان جان رعون يكتب قليلاً، لكنه في كل رحلة من رحلته كان يرسل

بطاقة تذكارية. وذات صباح، أي بعد شهر كامل من رحيله وصلت رسالة منه من شيكاغو.

وبسرعة فتحت تينا الرسالة بعصبية. يقول فيها انه سيعود بعد أيام قليلة وأنه لم يبق له سوى زيارة خاطفة إلى هونولولو. وبفرح تابعت تينا قراءة الرسالة. ولاحظت أن تاريخ الرسالة يعود إلى أسبوع وأنه من المفروض أن يكون قد وصل.

وبعد أن انتهت من القراءة ظلت جامدة مذهولة. تعرفت إلى الناحية الجنونية في والدها الفنان. وفهمت بسرعة عندما انتهت من قراءة الرسالة.

سألتها العمة ويني:

«ماذا يجري؟»

«لن يعود».

تركت تينا نفسها تسقط في المقعد وعيناها زائغتان في لمعان البحيرة.

«ماذا تعنين؟»

العمة ويني لا تتمادى في القلق. وضعت صحن السلطة جانباً وقالت:

«هل تريدين كأساً من عصير الفاكهة؟»

«شكراً».

تناولت تينا الكأس وتابعت تقول:

«يقول في رسالته أنه التقى صديقاً له يدعى كارلو جيورديبنو وهو فنان أميركي مشهور. لقد جاء إلى تاهيتي منذ فترة طويلة. لا يعجبني كثيراً. إنه سيد مجتمع أكثر من كونه فناناً أصيلاً.

كانت العمة ويني تأكل السلطة في هدوء وقالت:

«آه، نعم. أذكره. إنه طويل القامة يحب ضرب أصحابه بصورة مفاجئة أو يتلفظ

بكلام لاذع. لقد مضى على مجيئه إلى هنا أكثر من خمس سنوات».

«سيقوم بزيارة الجزر. إنه يملك يختاً ويقوم بجولة في الباسفيك. لقد اقترح على أبي أن ينضم إليه. وقبل والدي عرضه ليتسنى له مشاهدة المناظر البحرية العديدة.

ومدت إليها الرسالة وقالت:

«أقرأيها بنفسك».

قرأت العمة ويني بصمت وقالت:

«كم تبالغين! ظننت أنه لن يعود أبداً!»

«لكن، لن يعود قبل أسابيع عديدة».

«سيمرّ الوقت بسرعة».

نظرت المرأة العجوز إلى وجه الفتاة المقطب وقالت:

«من الأفضل أن تفترقا من وقت إلى آخر».

«ألا يكفي أن نفترق شهراً كاملاً؟»

«يجب أن تقبلي استقلالية والدك، وعليه هو أيضاً أن يفهم أن ابنته لم تعد طفلة».

«ماذا تعنين؟ أتريدين القول انني فتاة تحب التملّك؟»

«الظروف جعلتكما متقاربين. هو فقد زوجته وأنت وحيدة من دون أخ أو أخت. سوف تتزوجين يوماً ما، وقد يتزوج هو أيضاً؟ إنه ما زال في ريعان الشباب».

لم تعلّق تينا. لم تفكر في هذه الأمور من قبل. ولم تكن تريد اظهار انفعالها.

«ومن سنختار له كزوجة؟»

«ليس هذا هو من أختصاصنا».

كانت العمة ويني تضحك وتقول:

«في كل حال، ماذا يقول في نهاية الرسالة؟»

«لم أقرأها».

تناولت تينا الرسالة وقرأت في نهايتها «اذهبي واسكني عند فاي حتى يحين موعد عودتي. كل حبي. جان ريمون».

«ولما لا؟ إنها فكرة جيدة. وأنا يمكنني الاهتمام بالمحترف في غيابك».

ترددت تينا وقالت:

«أعرف. لكنني لا أريد أن أزعجك في عمل أنت في غنى عنه. اقترح اغلاق المحترف. لم يعد هناك سوى لوحات قليلة معدة للبيع. لذلك كنت آمل أن يعود خلال هذا الأسبوع».

«لا يبدو أنه قلق على هذا»

«إنه سعيد للغاية بهذه الجولة البحرية. وربما عقد بعض الاتفاقات المتعلقة بالعمل»

حاولت تينا الابتسام. فهي تعرف والدها تمام المعرفة.

«إنه في حاجة إلى الراحة ليستعد للعمل من جديد».

كانت العمة ويني تضحك ولا تعلّق على كلامها. ثم قالت:

«اذهبي لزيارة فاي. أفضل أن أعرف أنك معها. لقد أرهقت نفسها كثيراً في العامين المنصرمين. عملت كثيراً مع بول. واضافة إلى ذلك، عليها الاهتمام بالتوأمين. إني أفضل أن أساعدها، لكني أجد ذلك صعباً. لا أريد أن ألعب دور الحماة الشرسة!»

ظلّت تينا منغمسة في أفكارها. لقد اختارت الفندق شركة الباسفيك الجنوبية التي هي أهم شركة سفريات في المنطقة، لاستقبال السياح والركاب والأغنياء الذين يسعون وراء الترف والغرابة.

سبق لبيار أن لاحظ أن شركة السفريات تبحث عن الجزر النائية وعن

طبيعة غير ملوثة، فيها الحمامات الفخمة ومصممو الشعر والطباخون الماهرون. وفي كالوها، عند فاي و بول، كل هذه الشروط متوفرة. فضلاً عن مجيء أحد النجوم السينمائيين المعروفين للقيام ببعض الحفلات الخاصة وشراء ما يصنع في تاهيتي. كل هذا يعني مستقبلاً مؤمناً لبول وفاي، اضافة إلى مسؤوليات كبيرة.

لم تعد تينا تفكر في محتوى رسالة والدها. هناك عمل في انتظارها عند فاي. وبدأت تتخيّل نفسها أمام جدار الفندق المبني من الكلس والمرجان أو في الحدائق المليئة أزهاراً وخصوصاً الورد الاحمر. كانت ترى أيضاً أشجار النخيل التي تعكس صورتها في ماء البحيرة، وفي البعيد جمال كالوها والشاطىء الممتد على طول مزروعات الفانيللا...

انتظرت العمة ويني أن تستعيد تينا وعيها وتعود إلى الواقع. وأخيراً قالت تينا:

«سأعلم بيار بالأمر، صباح غد».

كان في صوتها انفعال مفاجىء انتابها وهي تفكر بأنها ستمضي بعض الأيام في كالوها.

وأن الجزيرة تمدّ إليها ذراعيها...

٤ ـ حادث في المحيط

تنهدت فاي وهي تتمدّد على سرير البحر. انها فترة الهدوء والراحة النادرة. كانت تينا الى جانبها تنظر الى بيار الذيَ كان في البحر مع التوأمين. انهما ممتلآن حيوية وحماسة، تجتازهما الأمواج ولا يخافان. يدفعان بيار ويتعلقان بقدميه محاولين افقاده توازنه. سقط بيار بفعل اندفاع الأمواج وصرخ:

«النجدة! هذان التوأمان سيغرقانني!»

صرخت تينا من بعيد:

«تدبّر أمرك معهما».

كانت تقهقه ضاحكة. ومن خلال نظارتيها كانت تميّز جمال بيار وسط أولاد أخيه. كان يتمتع بطاقة كبيرة وهو يجد دائماً العاباً جديدة ليسليهما. لم تتوقّع تينا أن يكون الشاب الفرنسي متمتعاً بروح العائلة، ولم تفهم جيداً سبب انفصاله عن مادلين. ربما لأنه معروف عنه انه يحب النساء...

قالت فاي:

«ليست مادلين هي السبب في ابطال هذا الزواج. كان زواج مصلحة وكان بيار يعتقد انه يحق له معاشرة النساء الأخريات، لكنه رفض ان تتصرف مادلين مثله. حتى العائلة لم تتدخل لحل مشكلتها.»

«وهل كان بوسع مادلين أن تعيش حياة مستقلة تماماً؟»

«انها منضمة الى منظمة تحرير المرأة. لكن بيار لم يكن يريد ذلك. حاولت اقناعه. كان في امكانه ان يعيش حياة جميلة مع مادلين لو كان أقل انانية كانت تعمل وتقوم بدور ربة المنزل على خير ما يرام. لكنها عندما أدركت أن زوجها على علاقة ببعض النساء قررت أن تتحرك. فوقعت في حب رجل ولم يستطع بيار تحمل هذا التحدي وهو الرجل الفخور فطلقها».

فجأة نهضت فاي ووقفت قرب التوأمين. تناولت كل واحد بذراع وحملتهم وتوجّهت نحو الفندق قالت وهي تمرّ قرب تينا:

«سأعيدهما الى الفندق. أرجوك ألاّ تزعجي نفسك».

«انني... اني آتية لمساعدتك».

كانت تفضّل ألاّ تبقى وحدها مع بيار على الشاطىء. لقد مضى عليها في كالوها أربعة أيام وهي مسرورة وتتمتع بوقتها كما يجب، لكنها دائماً تتحاشى أن تكون وحدها مع بيار. انه يلاحقها منذ عودتها وهي تقضي وقتها في التهرّب منه، لكنه كان يضايقها. سمعت خطوات على الرمال واحسّت بوجوده قربها أمسك بمعصمها. آه، لو يكف عن لمسها!

لكن الانسان الذي لمسها كان اندريه أحد التوأمين. أحاط عنقها بذراعيه الصغيرتين وأحنى رأسه على كتفيها وظلّ هكذا حتى غطّ في نوم عميق. وفي بطء حملت الطفل وأدخلته الى المنزل.

فجأة أحسّت بأصابع بيار على ظهرها.

«ما رأيك لو نذهب معاً للسباحة بعد أن ينام الأولاد».

«وعدت بول أن تعد وجبات الطعام على اللائحة».

«سأنفذ ما وعدت به في المساء. الوقت حار ولست مستعداً للضرب على الآ

الكاتبة».

قالت فاي وهي تتسلّق سلالم الشرفة:

«عليك اذن ان تستريح وتأخذ قسطاً من النوم»

«هل تسخرين مني، يا امرأة أخي؟ هيّا، تعالَي يا تينا لنسبح».

مماذا تخاف؟ هل ترتدي بذلة السباحة وتذهب مع بيار الى الشاطىء؟ كانت تفضّل أن تذهب وحدها وتتمشى على الشاطىء. لم يتسن لها الوقت لذلك منذ وصولها الى الجزيرة!

تنفسّت الصعداء. ربما ذهبت في الغد...

غير ان الحظ كان معها. كانت فترة بعد الظهر حارة جداً. لكن نسيماً عليلاً لطّف الجو قليلاً. كان معظم المسافرين يتنزهون في الحدائق تحت أشجار النخيل وبعضهم يسبح في البحيرة. وما ان خرجت تينا و بيار من المياه الهادئة حتى اقترب منهما شاب وفتاة وراحا يوجّهان اليهما بعض الاسئلة عن كيفية الذهاب الى مارلي. قالت لها فاي بينما كانت تمّر قربها:

««عليك ان تصطحبيهماالى هناك. ربما أضاعا الطريق».

سأل الرجل:

«هل يمكننا الذهاب الآن؟»

وافقت فاي على اقتراح الرجل ونصحته بانتعال حذاء مريح لتسلق الطرقات الوعرة التي تصل الى الهيكل.

همست المرأة بعصبية:

«هل كانت الذبائح تقام هناك؟»

أجابها بيار:

«ان البولينيزيين يفضلون الحفلات والأعياد والحياة المرحة».

فقال الزوج ساخراً:

«أترين، يا ميلي، يجب ألاّ تخافي».

«هيّا بنا اذن».

لم ترافقها تينا مّما أزعج بيار أخيراً. أصبحت وحدها حرّة في أن تتنزه على طول الشاطىء، كما يحلو لها. أصبح بيبار متملكاً أكثر فأكثر وهي لا تريد أن تمنحه أي شيء.

لم تلتق أحداً في طريقها، لكن ما أن وصلت الى الخط الصخري حتى تذكّرت فجأة ماكس ثورنتون، وشاطئه. لم يكن يخشى أن يدخله السياح، لأنه معروف أن هذا المكان خاص.

رفعت عينيها. لم يتغير شيء. هنري العجوز لا شك يهمل منزله بعض الشيء، برغم انه لا ينقصه الخدم للاهتمام بالمنزل!

ماذا يحدث لو أنها عكّرت صفو المكان وطرقت الباب؟ ان لقاءها الأول مع ماكس ثورنتون لم يكن مشجعاً. في كل حال، انها تقوم بنزهة وإذا لم تجد أحداً، ستكمل طريقها الى مكان آخر.

كانت قد تسلّقت بعض السلالم عندما سمعت صراخاً أو بالأحرى أنيناً، آتياً من داخل المنزل. فسارعت خطواتها واجتازت الشرفة وانتفضت لما شاهدت. كان هنري لاتور ممدّداً أرضاً، احدى يديه موضوعة جانباً والأخرى متمسكة بقضيب الكرسي. اقتربت منه. كان وجهه متقلصاً من شدة الألم. كان يتنفس بصعوبة كبيرة. اعتقدت في بادىء الأمر انه فقد وعيه. لكن ما ان انحنت فوقه حتى فتح عينيه وحاول التلفظ ببعض الكلمات، لكنه لم يستطع إلاّ الأنين.

«لا تتحرك، سأبحث عن أحد ليساعدنا».

ركضت نحو الباب لكن الرجل الممدّد أرضاً كان ينتفض. كان وحيداً وهي

خشبة خلاصه. جذبت الوسائد عن المقعد وتناولت غطاء من احدى الغرف وحاولت قدر المستطاع أن تضعه في موضع مريح.

«أليس كيم هنا؟»

«كلا... بلى، انه في العنبر... ماكس...»

ابتسمت تينا لتطمئنه وقالت:

«سأجده، لكن عدني ألاّ تتحرك».

خرجت من الفيللا وسلكت الطريق الذي أخذه ماكس مرة من خلال الأرض المزروعة. لا بدّ أن العنابر تقع في هذه الناحية.

كان الطريق ضيقاً وقطعت تينا مسافة لا بأس بها قبل أن ترى الأبنية. أسرعت متوجهة نحو مجموعة من الشباب المنهمكين بتفريغ الصناديق.

كانوا ينظرون اليها وهي تقترب نحوهم. وقبل أن يتسنى لها الكلام. شاهدت شبح ماكس الطويل بعيداً. كان يركض نحوها.

ماذا تفعلين هنا؟»

«السيد لاتور... ليس في صحة جيدة... رأيته راقداً على الأرض. تعال بسرعة».

كانت تينا تلهث من التعب. ظلّت جامدة مكانها بينما كان ماكس يسرع نحو المنزل. نظرت حولها. القطاف انتهى والصينيون نساءً ورجالاً، يولفون الصناديق للتصدير. كانوا يختارون أنواع الفانيللا المختلفة و يقومون بفرزها وتوضيبها.

أثار هذا المنظر فضول تينا. منذ أن سكنت الجزيرة، لم تر أبداً قطاف الفانيللا. كان الجو يعبق برائحة الفانيللا التي لا يضاهي عطرها أي عطر آخر. لكن لم يكن الوقت المناسب للشعور بالنشوة.

لم تعد ترى ماكس ثورنتون. عادت تمشي نحو المنزل لترى هنري لاتور

كما تركته، في الوضع نفسه. وكان ماكس يجس نبضه. من حسن الحظ انك لم تنقليه من مكانه. لقد اصيب بنوبة قلبية. ويجب نقله الى المستشفى في الحال. هل ترين زورق الفندق راسياً في رصيف الميناء؟

«نعم سأذهب اذا أردت...»

«لا. ابقي هنا معه. سأذهب أنا. يجب نقله الى بابيت في أسرع ما يمكن».

«نعم. ماذا عليّ أن أفعل؟»

«لا شيء. هدّئي من آلامه قدر المستطاع. لكن ايّاك أن تقدّمي اليه الماء أو أي شراب آخر».

جلست قرب هنري لاتور تراقبه. كان هادئاً يتنفس بانتظام. بعد فترة قصيرة. استيقظ ومرّر يده على جبينه.

«آه! ماذا حصل لي؟ من أنت؟»

«أنا ادعى تينا. كيف تشعر الآن؟»

«أحسن. لكن الألم حاد كالسكين... ألم يسبق أن رأيتك؟»

«نعم. منذ وقت طويل...»

ثم سألها:

«أين ماكس؟»

«ذهب ليحضر الطبيب».

«ليس هنا في كالوها أيّ طبيب. في كل حال، أنا لست في حاجة الى طبيب. أشعر بتحسن بعد أن أتناول كأساً...»

حاول النهوض، لكنها منعته قائلة:

« ماكس... السيد ثورنتون طلب مني أن أعده بأن أمنعك من الحركة. لن يتأخر في العودة».

كان يرغب في الكلام، لكنه شعر بشيء يضايقه.

«سبق وأصبت بنوبة قلبية، لكن الألم لم يكن في هذا العنف. حدثت النوبة الأولى في الوقت الذي...»

«لا ترهق نفسك في الكلام. انني متأكدة من أن حالتك الصحية ستتحسن. أرجوك أن تهدأ فقد وعدته بأن أتولى مراقبتك».

«وعدت من؟ لم أكن أعلم... لم يضع ماكس وقته فقد وجد صديقة حميمة بهذه السرعة».

على قسمات وجهه المليئة بالألم ظهرت بعض علامات المرح.

«لست صديقة السيد ثورنتون الحميمة. ولست أرغب في أن أقوم بهذا الدور، يا سيد لاتور».

«قد ترغبين في ذلك يوماً، فالوقت ما يزال أمامك يا آنسة. سيبقى ماكس بيننا مدة طويلة».

عضّت تينا على شفتيها وقالت:

«أرجوك ألاّ تتحرّك. سأبلّل جبينك بهذه المنشفة الرطبة وستشعر بتحسن.»

كانت تفضّل تجنب هذا النوع من الحديث. ولكن لماذا تشعر بالارتباك؟ لماذا تحمرّ خجلاً كأنها تلميذة صغيرة؟

عادت حاملة منشفة مبللة. لم يعد المريض شاحباً كما كان عندما رأته ممدّداً على الأرض، لكنّ شفتيه ما تزالان مبللتين. طلب أن يشرب فرفضت أن تلبي طلبه بلطف. تأفف من دون اعتراض. فجلست قربه وانتظرت. بعد عشرين دقيقة كان الزورق يمخر مياه البحيرة.

وصل ماكس ومعه رجل كندي وزوجته الممرضة، التي شكرت ماكس و تينا على تصرفها اليقظ وبدأت تعتني بالمريض. وضعوه على حمالة وأصرّت

المرضة على مرافقته الى المستشفى. عادت تينا وزوج الممرضة الى الفندق.

بعد فترة عاد الزورق من بابيت. كان ماكس على حق؟ هنري لاتور أصيب بالفعل بذبحة صدرية وينبغي أن يبقى في المستشفى.

عاد بيار مع السيّاح من نزهتهم وعندما عرف بالحادث المؤسف سأل تينا:

«ماذا كنت تفعلين هناك؟»

«كنت أتنزه. هل هذا ممنوع؟»

«لا! لكني لم أكن أعتقد أنك ستفرحين بلقاء هذا الاقطاعي المتعجرف».

«انك انسان غبي، يا بيار».

ضحكت فاي لكن تينا كانت جادة في ملاحظتها لبيار. انها فتاة حساسة الى درجة كبيرة.

بعد يومين عندما وصل المركب الى كالوها، رفضت مرافقة بيار كعادتها لاحضار البريد. انتظرت وسمعت أحدهم يستعلم عن أخبار العجوز هنري وماكس.

قال بيار:

«كان ثورنتون يغادر المركب عندما وصلته. أما العجوز هنري فان صحته تتحسن».

بدت تينا متوترة جداً. بعد الغداء عندما أوى التوأمان الى فراشهما في وقت القيلولة، دخلت تينا الحمّام وأخذت دوشاً بارداً وغيّرت ملابسها ووضعت المساحيق على وجهها كأنها ذاهبة الى سهرة، ثم أخرجت من خزانتها السترة الزرقاء وارتدتها، وخرجت من الفندق واتجهت نحو الشاطىء.

لديها الآن عذر واضح، أليس كذلك؟ هل سيتعرف ماكس الى السترة التي يملكها؟ سلكت الطريق المؤدي الى البنغالو وترددت قليلاً. انه جنون حقيقي!

وماذا اذا لم يكن هناك؟

صعدت السلالم حاملة قبعتها القش، وكانت تصفر لحن أغنية معروفة. ومن الشرفة كان ماكس يحدّق فيها من وراء نظارتيه السوداوين. جرع كأسه دفعة واحدة وقال:

«ماذا هناك؟»

«جئت اسأل عن السيد لاتور. كيف حاله؟»

«انها جيدة نوعاً ما».

«الحمد لله».

لم تكن تينا تشعر بارتياح. كان ماكس يبدو متحفظاً. وقفت أمامه واضعة يديها في جيبي السترة الزرقاء. كانت قد وضعت زناراً ضيقاً على زاوية السترة لتبدو أنيقة. وتحت السترة كانت ترتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون يكشف نحافة جسمها وسمارة.

تقدم ماكس منها خطوة واحدة فقالت:

«جئت يوماً الى هنا لأرد لك هذه السترة...»

«أنت فتاة ذات ضمير حيّ!»

«لكنك لم تكن موجوداً».

ران صمت ثم راح ماكس يتحسس أطراف السترة وقال:

«اشتريتها من لندن».

«بينما كنت أغسلها لم استطع أن أتبينّ نوعية القماش التي صنعت منه».

كانت يداه ترتجفان وهو يتحسس القماش، ثم ابتسم وسألها:

«هل في امكاني استعادتها؟»

«الآن؟»

«أليس هذا هو سبب زيارتك؟»

«كلا».

«هل تريدين أن تضيفيها الى جهازك؟»

دفعت يده بعيداً وقالت:

«ارتديتها عدة مرات وكذلك اليوم...»

بدا وكأنه فوجىء وسألها:

«أعتقد أنك ترتدين بذلة السباحة تحتها».

«لا. اليوم لم ارتد بذلة السباحة».

«أنت حائرة، أليس كذلك؟»

تأكدت من أن كل أزرار السترة مقفلة فقالت:

«سأعيدها اليك في المرّة المقبلة».

«اذن ستأتين مرة ثانية؟»

«ولِمَا لا! آه، كدت أنسى...»

ارتفع حاجباه الأسودان استغراباً. أما تينا فقد أخرجت من جيب سترتها حفنة من الصدف لملمتها وهي في طريقها اليه وقدّمتها له. نظر الى محتوى يدها مذهولاً، فقالت:

«هذا هو التعويض الذي تستحقه لأنك سمحت لي بالتنزه على شاطئك».

قهقه ضاحكاً ثم رفع عينيه نحوها وقال:

«لا اذكر أنني طلبت منك أن يكون التعويض صدفاً».

«انها الدفعة الأولى على الحساب».

كان دمها يغلي في عروقها، لكنها تمكّنت من السيطرة على الموقف.

«آمل ألاّ أخدع بعد اليوم».

«كيف؟»

«وأنا أمرّ على الحدود!»

«ما سبق لي وفعلت ذلك».

«ان ذاكرتي حسنة».

كانت تمرح وهو ابتسم لحظة ثم عادت نظراته الى غموضها. قال:

«اذهبي وتخلّصي من هذه الأصداف. لقد جئت الى هنا من أجل هدف آخر».

«وما هو؟»

«جئت لتغازيليني».

«أغازلك؟ يا لهذا الكلام السخيف يا سيد ثورنتون».

«ربما. انها مجرد فكرة».

«ماذا تعني؟»

«أنت تعرفين جيداً».

عادت خطوة الى الوراء وأصبحت على حافة الشرفة، فأضاف يقول:

«انك تغازلين بيار على نحو جيد».

« بيار؟ آه لا».

«وتفعلين ذلك في الصباح الباكر كذلك».

«قرّرت الاتكال على نفسي وتدبير اموري من دون تدخل أحد، من الآن فصاعداً».

«لن أكون دائماً حاضراً لأنقذك من مطالب بيار الملحة».

«لا تقلق علي».

ابتسمت تينا في انتصار. صحيح أن ماكس ثورنتون هو السيد، لكنها عرفت كيف تنجو من سلطته. وقفت على رؤوس أصابعها وطبعت على ذقنه قبلة

صغيرة وقالت:

«قل للسيد هنري لاتور انني جئت أسأل عن صحته».

ثم انسلت في هدوء واختفت. انحدرت بسرعة على السلالم ورمت بالأصداف على الرمال وتابعت طريقها من دون أن تلتفت الى الوراء.

في الأيام التالية لم تكف عن التفكير في ما حدث لها. لم تحاول أن تجتذب ماكس ثورنتون اليها، وهو الذي يعتبرها فتاة سهلة المنال لكن كم هو جذّاب! لا شك انه نسي اليوم ما حصل منذ ثلاث سنوات.

تراكمت الأشغال عليها، فقد وصل الى الفندق سيّاح جدد. وبدأ التوأمـان يتطلبان اموراً أكثر. وفاي تريد اعداد سهرة السبت، والكابتن روليه وابنته كورين كانا بين المدعوين.

يوم الجمعة قال بول:

«ماذا لو دعونا السيد ثورنتون؟»

وافقت فاي على اقتراح بول لكن بيار لم يحبذ الفكرة.

«أصحيح انه لا يحب الاختلاط بالناس؟ الكابتن روليه يقول ان ماكس يهتم بمزرعة هنري وقد سبق أن تولى ادارتها عندما سافر هنري لاتور الى اوروبا».

« هنري ووالد ماكس كانا صديقين حميمين».

«حسناً. سأدعوه الى الحفلة. لم يعد هنري يهتم بشيء، لقد أصبح رجلاً مريضاً، وعندما يعيش الرجال من دون نساء تهتم بهم يصبحون أسرى الوحدة والكآبة».

«اذن سندعو سيدنا الجديد. هل ستقدر كورين أن تسحره؟»

شعر بيار بشيء من المرارة. أما تينا فلم ترحب كثيراً بالفكرة، فهي لا

تميل الى ابنة الكابتن ولا ترى فيها جاذبية تسحر. وكورين تمضي معظم أوقاتها بين المصطافين الأثرياء وهي تدير مخزناً للأزياء في بابيت. انها تأتي في نهاية الاسبوع الى الجزيرة لتمضي بعض الوقت مع والدها. لكن ان ترى هذه الفتاة المتعجرفة في صحبة ماكس، فان الفكرة لم تعجبها.

« تينا، هل تهتمين بدعوة السيد ثورنتون صباح غد».

أجابت من دون اقتناع:

«نعم».

قال بيار وهو يحاول وضع ذراعه حول خصرها:

«سآتي معك. انني لا أثق بالسيد ثورنتون».

ابتسمت وقالت:

«لا تكن تافهاً يا بيار».

«أنا لست تافهاً، بل أريد حمايتك».

«من طلب منك حمايتي. اذا لم أعد مساء الغد ففي امكانك أن تشن غارة عليّ؛ وفي انتظار ذلك دعني ألعب دور كورين».

«لا، لن تفعلي ذلك».

«ولِمَ لا. انني حرّة».

ابتعدت تينا عن المجموعة. نظر اليها بول وطلب من أخيه أن يدعها وشأنها وقال:

«لا جدوى من مجادلة النساء. انها مضيعة للوقت. هناك طرق أخرى لاستعادة ثقة المرأة».

ابتعدت تينا غير مكترثة. لن تدع بيار يرافقها في مهمتها واذا اصرّ فسيذهب وحده ويمكنها أن ترى ماكس في مناسبة أخرى.

كان الحظ في جانبها. فقد نسي بيار قراره لكثرة أعماله. قرّرت تينا الذهاب عن طريق الشاطىء وأخذت معها السترة الزرقاء ارتدت فستاناً وردياً وفوقه سترة قصيرة معرّقة. لكنها لم تجد ماكس في المنزل، فأعطت بطاقة الدعوة الى كيم، ثم قرّرت العودة عن طريق المزروعات، حيث الجو أكثر برودة وظلال الأشجار تخفّف من حرارة الشمس، لكن لم يكن في الأفق أيّ نسيم يخفّف من رطوبة الجو الخانقة. وما أن اجتازت نصف الطريق حتى وجدت نفسها وقد تبلّلت من العرق وفستانها ملتصق بجسمها. سمعت فجأة صوت دراجة نارية، فانتحت جانباً لتدعها تمرّ، لكن الدراجة توقفت قربها وانحنى ماكس نحوها وسألها:

«هل أضعت الطريق؟»

«كلا. انما قمت بدور ساعي البريد».

«من دون دراجة؟»

«سلّمت كيم دعوة الى العشاء مساء غد».

«الدعوة موجّهة الى كيم أم اليّ أنا؟»

«يا له من سؤال!»

«سألبي الدعوة. هل تأتين الى المنزل وتأخذين كأساً؟»

«بكل طيبة خاطر».

«اصعدي اذن».

صعدت وراءه ووضعت يديها حول خصره وهي تبتسم. بدأ النهار يبدو بالنسبة اليها رائعاً. قدّم لها شراباً ناعماً، وفي صالونه الصغير شعرت بالارتياح. سألته:

«الى متى أنت باق في كالوها؟»

«حتى نهاية الشهر».

كانت تحتسي الشراب اللذيذ، جرعة وراء جرعة، وهي تطلعه على تفاصيل تبدل برنامج سفر والدها الذي فضّل أن يأتي عن طريق البحر مع صديقه الرسام كارلو جيورودينو. ثم قالت:

«انني سعيدة لأنك هنا تساعد هنري لاتور.»

أجابها وهو يهز كتفيه:

«هذا أقل شيء يمكن أن أفعله لهنري».

نهض ماكس فجأة وقال:

«هل تحبين كأساً أخرى؟»

«كلا. شكراً».

«تعالي سأريك كيف تتم زراعة الفانيللا».

رحّبت بالفكرة وصعدت من جديد وراء ماكس على دراجته النارية وكانت سعيدة لأن تضع ذراعيها حول صدر هذا الرجل القوي وتضغط عليه.

توقّف ماكس قرب فتاة تعمل في الحقل، وهبط مع تينا على الأرض الصلبة واقتربا من نبتة مليئة بالبراعم. قال ماكس:

«هل تجدين ان هذه النبتة مريضة؟»

كانت أصابع الفتاة الصينية تعمل بنشاط حول هذه النبتة. ابتسمت الفتاة الصغيرة عندما بدأ ماكس يشرح الموقف قائلاً:

« آنيت خبيرة في تلقيح الأزهار. يمكنها أن تعالج ثلاثمئة زهرة في اليوم».

قالت آنيت ضاحكة:

«لكنني لن أستطيع تحقيق ذلك، اليوم، اذا ما واصلتما الهائي عن عملي».

لاحظت تينا الأزهار العالية التي لم تتم معالجتها بعد، فشرح لها ماكس

قائلاً:

«لم يعد يوجد اي لقاح في رؤوس هذه الأزهار».

«ولمَ؟»

«انه قانون الجاذبية. يقع اللقاح على القرون المنخفضة التي يسهل حصادها لأنها تكوّن فروعاً من غيرها».

«هذا رائع حقاً. أخبرني المزيد».

«يجب تلقيح النباتات في أسرع وقت ممكن، لذلك نوظّف عدداً كبيراً من الفتيات الصغيرات. كل صباح يجب مراقبة كل شتلة بمفردها. هنا في هذا الجزء من الحقل نحصد الفانيللا التاهيتية التي تنمو عادة هنا، لكن هناك بعيداً، زرعنا أصنافاً تدر أرباحاً أكثر، وهذه الأصناف استوردها هنري من الخارج».

«الفانيللا كانت تستعمل في الطب أيضاً، أليس كذلك؟»

«نعم، كما هي الحال مع النباتات الأخرى، كما أن لها منافع علاجية كبيرة».

أخذ ماكس معصم تينا وضغط عليه وأضاف:

«يمكن وضع أوراق الفانيللا على الجلد في حال تعرض الانسان لأية لسعة».

«لم أكن أعرف ذلك. لكنني لا أذكر أن شيئاً ما لسعني».

كانت تحدّق فيه في استغراب، ثم لاحظت أثر جراح على جلده. فهمس يقول:

«لا... أعرف ذلك».

نظر الى ساعة يده ثم قال:

«سأوصلك الى الفندق».

وقبل ان يصلا الى الفندق، خفّف ماكس من سرعة الدراجة ثم توقّف وهزّ رأسه وقال:

«لن أذهب أبعد من هنا».

قالت وخداها يلتهبان:

«أما زلت تعتبرني تلك الفتاة الصغيرة الحمقاء».

«لا أبداً. أنت تكبرين».

عضت على شفتيها متأثرة وقالت:

«تعال معي الى الفندق لتشرب شيئاً».

«ليس لديَ وقت أيتها الفتاة الصغيرة».

هزت كتفيها وحاولت استعادة السيطرة على نفسها وقالت:

«حسناً، ربما في المرّة المقبلة. هل ستأتي غداً؟»

«نعم، الى اللقاء».

صعد الى الدراجة وابتعد، وهو يشير اليها ساخراً.

وعندما اختفى دخلت الفندق حالمة. انها لا تشعر تجاه ماكس بالكراهية، بل العكس هو الصحيح، فهي ترغب في أن تقيم معه علاقة صداقة متينة. تذكّرت مقالاً قرأته في احدى الصحف حول العلاقات بين الرجل والمرأة وعبارة تقول:

«ان الرجل يختار المرأة حسب قيمتها».

قطبت تينا حاجبيها. يجب ألاّ يعرف أنها معجبة به. خلال لقائها الأول مع ماكس كرهته، وفي المرّة الثانية ابعدته عنها بالرغم منها. كيف كان في امكانها ان تعرف مسبقاً كيف سيتصرف بيار ليلة وصوله؟ اليوم، كل شيء مختلف، مختلف جداً، وهي تنتظر يوم غد بفارغ صبر.

اجتازت الشرفة ولم تلاحظ روزا، التي تعمل في مكتب الاستقبال والتي كانت تحدّق فيها بنظرة ثاقبة، كأنها تريد أن تناديها.

فجأة ظهرت فاي شاحبة اللون وقالت:

«آه تينا، أين كنت؟ لقد بحثنا عنك طويلاً».

«هل حدث شيء للتوأمين؟»

«أنهما في خير... انما...»

لم تستطع فاي ان تتكلّم، صمتت لحظة ثم قالت:

«وصلتنا رسالة... والدك...»

«ماذا؟»

مرّ ظل على الشرفة ووضع بول يديه على كتفي تينا وقال:

«انك تخيفينها يا فاي. تينا، لقد فقد الاتصال بالراديو مع يخت جيوردينو باستثناء ذلك ليس هناك أمر خطر. ان الكابتن روليه يسعى للحصول على أخبار جديدة».

«اليخت؟ أتريد أن تقول أن أبي...»

التفتت تينا لتواجه بول وقد سيطر عليها الخوف وقالت:

«كلا. ان هذا غير معقول».

«اجلسي يا تينا. احضري لها يا فاي شيئاً تشربه. لا تخافي فلا داعي للاضطراب».

امسك يديها الباردتين، وتركت تينا فاي تساعدها على الجلوس في المقعد وسألت:

«ماذا جرى ومتى؟»

«هبت عواصف بحرية فجأة في الأيام الأخيرة في هذا المكان الهادىء نسبياً. لقد اشتبكت الرياح ببعضها في ظروف سيئة، مّما أدّى الى هياج البحر وارتفاع الأمواج. وقد انقطع الاتصال خلال احدى العواصف. وفي الليل التقطت احدى السفن اشارة نجدة، لكنها لم تستطع تحديد مصدرها، وذلك بسبب سوء الأحوال الجوية. ان عائلة جيوردينو قلقة جداً وقد بدأت البحث عن اليخت، لكنك كما

تعرفين المحيط الهادي شاسع للغاية.

قالت فاي وهي تلمس يد تينا:

«حبيبتي، أعرف ان ذلك مرعب، لكن ما يزال هناك أمل. لم نتأكد بعد ما اذا كانت اشارة النجدة آتية بالفعل من يخت جيوردينو...»

هزّت تينا رأسها ولم تقل شيئاً. قال بول:

«في مثل هذا المحيط الشاسع من الطبيعي ألاّ تصل الأخبار بالسرعة المطلوبة. ان البحث عن اليخت مستمر ويجب الانتظار».

كان بول يحاول ان يواسي تينا وهو ينظر الى زوجته في خيبة أمل.

٥ ـ الانتظار والأمل

الصدمة التي تلقتها تينا جعلتها تنفجر بالبكاء. لا! هذا مستحيل. يجب أن تعمل بنصيحة فاي و بول وتتحلى بالثقة. قرأت رسالة والدها الأخيرة مرّات عدة باحثة عن أي وسيلة للاطمئنان.

كارلو جيوردينو يملك يختاً فاخراً من النوع الذي لا يغرق بسهولة، كما أن طاقم الباخرة مؤلف من أشخاص ذوي خبرة واسعة، وجهاز الراديو فيه من أحدث الأجهزة، ولكارلو شهرة في الأوساط الرياضية. كان الجميع يتابعون الأخبار المتعلقة بالمحاولات الجارية لمعرفة مصير اليخت.

غير أن كلّ ملامح الأمل انطفأت. كانت العناوين في الصحف الصادرة صباح اليوم التالي تحمل كلمة واحدة:«الاختفاء». وكانت تينا تنتظر يومياً نشرة الأخبار البحرية التي تبثها الاذاعة. ثم قررت العودة إلى منزلها في بابيت لتشارك العمة ويني مهمة الانتظار. الغيت الحفلة التي كانت مقررة، وعرض ماكس خدماته، وأصرّ بيار على مرافقتها حتى المنزل.

عودتها إلى المنزل لم تكن الحلّ الأفضل. كانت تينا تصلي كل يوم وتنتظر. وكانت الأيام تمرّ بلا أمل وتوقفت الصحف والاذاعات عن التحدث عن أخبار اليخت، وازداد الألم في قلب تينا بحيث لم تعد تتحمله.

جاء الأصدقاء لمواساتها، وخلال أسبوع واحد جاء بيار و فاي ثلاث مرات لزيارتها. كانت تينا تخشى هذا الصمت الذي يخنقها، فانغلقت في وحدتها ورفضت استقبال أحد. كانت تفضل أن تتذكر وحدها أجمل الاوقات التي أمضتها مع والدها. كانت تذهب كل يوم إلى المحترف وتتنزه على شاطىء البحر وتسبح. وفي المساء، وعلى رغم منها، كان ماكس يتسلل إلى وحدتها. ربما جاء إلى بابيت لزيارة هنري لاتور في المستشفى من دون أن يأتي ليسأل عنها. في أيّ حال لماذا عليه أن يفعل هذا؟ ليس هناك شيء بينهما. لقد تعارفا مصادفة وهو سأل مرة فاي عن أحوالها وهذا كلّ شيء.

في هذه الغرفة الصغيرة حيث أمضت تينا طفولتها، وحيث أطلعت فاي على أسرارها، كانت تنام، تراودها أفكار غريبة. لقد قدم إليها ماكس ثورنتون كل ما ترغب فيه ولا شك أنه سيعجب والدها...

كانت تستيقظ كل يوم في السادسة صباحاً مع شروق الشمس. تغتسل وترتدي ثيابها وتتناول فطور الصباح مع العمة ويني.

وكانت المرأة العجوز تبتسم في استمرار، برغم شحوب وجهها الحزين.

وذات صباح قالت العمة شاكية:

«يا له من صداع قويّ! يخيّل إليّ أنني على وشك الموت».

«لماذا لا تبقين في السرير؟ يمكنك أن تتناولي فطور الصباح في غرفتك».

«يجب أن أخرج لأشتري بعض الأغراض الضرورية».

«في إمكاني القيام بذلك وكذلك اعداد الغداء».

«لا يا حبيبتي، لا أريد أن أزعجك. سأعود إلى الفراش».

عادت المرأة العجوز إلى غرفتها وأقفلت الستائر وقالت لتينا:

«أذهبي إلى سيسيل وأسأليها ما إذا كانت قد تسلمت أشغال «الكروشيه».

قبّلت تينا عمتها في حنان وأخذت لأثحة المشتريات وعادت بسرعة بعدما بقيت مع سيسيل فترة قصيرة. و سيسيل أرملة تدير محلاً للأقمشة لتملأ أيامها الفارغة. أبلغتها أنها تسلمت الأشغال التي صممتها العمة ويني. وأثناء الحديث علمت تينا أن سيسيل ذهبت إلى المستشفى للأطمئنان إلى صحة هنري لاتور. قالت سيسيل:

«كان شديد الحزن لعدم تمكنه من استقبال الكسيس بنفسه».

سألتها تينا وقد فوجئت:

«هل تقصدين أبنه؟»

«نعم. لقد أمضى سنوات طويلة في الغربة».

أصغت تينا إلى كلّ ما قالته سيسيل بفضول غريب. إنها لا تعرف تماماً قصة هنري لاتور. لقد سمعت أقاويل عديدة ومختلفة عن خلافه مع أبنه، لكنها لم تكن تعرف سبب هذا الخلاف. أضافت سيسيل تقول:

«يقول الطبيب ان محتويات الرسالة التي بعث بها الكسيس إلى والده كانت سبب إصابته بالنوبة القلبية. كانت صدمة لم يستطع تحملها. لقد وقع لألكسيس حادث سيارة في العام الماضي، وهو الآن يعرج، كما أنه مصاب بجروح في رأسه وهذا من الصعب معالجته وحالته تتأزم يوماً بعد يوم. هذا ما أخبرني به السيد هنري لاتور بالذات.

توقفت سيسيل عن الكلام برهة ثم أضافت:

«وقد عاد الكسيس إلى والده».

شعرت تينا بالدموع تتساقط على وجنتيها، فقد تذكرت والدها، كان يجب أن يكون معها الآن. غالباً ما كانا يتشاجران لكنها لم تجرؤ يوماً على أن تبوح له بمقدار حبها له.

«لا شك أن الكسيس تغير كثيراً منذ أن غادر الجزر، أي منذ ١٥ سنة. كان يتمتع بجمال جذاب ويحب معاشرة النساء اللواتي يجذبهن بسحره في سهولة... لكنه لم ينجح في تسلّم أي عمل برغم الحاح والده وخيبة أمله. كانت نهاية سيئة».

رفعت سيسيل شعرها الطويل الأسود والمجعد المسرح على الطريقة التاهيتية وقالت:

«لهذا السبب بالذات رفضت الزواج منه».

«من السيد لاتور».

«نعم، يا ابنتي. كنت ما أزال شابة في ذلك الوقت. أخيراً أخذت أميل إليه ولم أندم على ذلك أبداً».

غيّرت سيسيل الحديث وقالت:

«إذا لم يكن اللون مناسباً فإنك تستطيعين إرجاعها. اتفقنا؟ شكراً»

كانت تستعد لأغلاق المحل خلال فرصة الظهر.

كانت تينا تتمشى باسترخاء تحت أشعة الشمس، وهي مترددة بين أن تعود إلى المنزل، أو أن تتناول كأساً لاطفاء ظمأها.

وقبل أن تركب دراجتها سمعت صوتاً ينادي: تينا،

التفتت وفوجئت برؤية ماكس ثورنتون أمامها.

لم تكن قادرة على إخفاء فرحها.

«هل من أخبار جديدة؟»

هزت رأسها سلباً.

«كنت أخشى ذلك. تبدين متعبة. هل في إمكاني مساعدتك؟»

«كلا...»

عضت على شفتيها. أرادت أن تكمل كلامها، لكنها لم تعرف كيف...

ألقى نظرة إلى ساعته وسألها:

«هل أنت مستعجلة. تعالي. سآخذك لنتناول طعام الغداء معاً. لكن قبل ذلك لديَ موعد مع شخص لن يستغرق أكثر من عشر دقائق».

عادت إلى الوراء. وفي لحظة اختفى البريق من عينيها.

«في هذه الحال، من الأفضل... لا أريد...»

«هيّا، لا أقبل اعذاراً. هيّا بنا».

امتطت تينا دراجتها. وسار ماكس جنبها وقال في هدوء:

«إنني أمشي على قدمي فلا تسرعي وإلا عجزت عن مرافقتك».

للمرة الأولى منذ أسبوعين، تشعر تينا بالاسترخاء. كانت تركب الدراجة في بطء حتى لا يضطر ماكس إلى تسريع خطواته.

وفي المطعم أجلسها أمام إحدى الطاولات واستأذن منها. انتظرته تينا وهي شاردة تفكر، واضعة يديها على ذقنها. كانت تتأمل السيّاح والزوّار الجدد. أحدهم ما زال يرتدي عقد الزهر ويسخر منه أحد أصدقائه. آخر يصوّر المشهد. و تينا تبتسم.

عندما شاهدت ماكس عائداً، تغيّرت ملامح وجهها. كانت معه كورين! أدركت تينا أنه على موعد مع امرأة، ولكن مع كورين...؟

إنها طويلة القامة، شقراء، فرنسية، ترتدي بنطلوناً أبيض وقميصاً حمراء معرقة بالازرق.

تصرفت كورين وكأنها لم تلاحظ شيئاً واقتربت من تينا وعلى وجهها ابتسامة مشعة وقالت:

«كيف حالك يا عزيزتي؟»

فوجئت تينا بينا اغتبطت كورين للأثر الذي أحدثه ظهورها غير المنتظر.

جلست كورين وألقت نظرة حانية إلى تينا وسألتها:

«ماذا تفعلين في هذه الأيام. من زمان لم نلتق».

أجابت تينا وهي تهز كتفيها:

«إني انتظر وليس لديّ أي شيء أفعله».

«لست أقصد ذلك. ألا تعملين خلال النهار؟ كنا نتحدث عنك، في إحدى الأمسيات، أليس كذلك يا ماكس؟ واتفقنا على نقطة واحدة: يجب أن تلتقي بالأصدقاء وخاصة بول و فاي. إنهما لطيفان جداً وكذلك بيار».

«أفضل البقاء هنا».

لم تكن تينا ترغب أن يظلّ الحديث حول هذا الموضوع ولم تكن تريد أن تكون نقطة انطلاق الحديث. وبما أنه كان من المستحيل التحدّث إلى ماكس بوجود كورين فقد فتحت موضوع محل كورين الجديد. لكن كورين ظلّت تحوم حول الموضوع نفسه. وبعدما انتهت من تناول الوجبة، مسحت فمها وعادت تقول:

«لدي فكرة رائعة! هل تساعدينني في تنظيم المحلّ، يا عزيزتي؟»

«أنا؟ كيف؟»

«انتهت أعمال الديكور وأريد أن افتتحه في الأسبوع المقبل. يجب ملء الرفوف بالالبسة التي ما زالت في الصناديق. سبق لي ورأيت محترف والدك وأعجبتني طريقة ترتيبه. لماذا لا تأتين وتساعدينني؟»

ظلّت تينا صامتة. يبدو أن لكورين أفكاراً واضحة. ماذا تريد؟ وللحال قبلت تينا العرض وأجابت:

«بالطبع، إذا كان في امكاني مساعدتك».

«هذا سيفيدك. يجب رؤية الأمور بلا خوف. الحياة مستمرة. ربما هذا صعب لكنها الحقيقة. في الوقت الحاضر أنا أتدبّر أمري».

التفتت إلى ماكس لتشكره لأنه أتاح لها مجال أيجاد مساعد. كانت نظرتها إليه حميمة. لا شك أن ماكس أمضى بعض الوقت معها في المحل، ولم يمرّ بها. مدّت يدها إلى حقيبتها وفوجئت وهي تحدق بماكس الذي قال:

«كورين على حق، لماذا لا تقبلين العرض؟»

وفي ذلك اليوم بالذات، عند الصباح، سألتها العمة ويني ماذا تريد أن تفعل بشأن المحترف. عليها اختيار اللوحات التي تريد بيعها واللوحات التي تريد الاحتفاظ بها. وحتى الآن لم تكن تينا قادرة أن تفكر بالأمر فلم يكن لديها القوة اللازمة. لكن عليها أن تعيش وبالتالي فستكون بحاجة إلى المال.

كان ماكس ينتظر جوابها. فقالت:

«نعم، لكن أريد أن أبحث الأمر مع عمتي ومعرفة جدول أعمالها لهذه الأيام. ما رأيك لو تمهلينني إلى الغد يا كورين؟»

بعد بضع دقائق كانت تينا على دراجتها في طريق العودة. لم تشكر ماكس على الغداء. ستفعل ذلك مرة أخرى.

كانت العمة ويني ما تزال في فراشها. وبعد أن وضعت ما اشترته في المطبخ، أحضرت تينا لعمتها فنجان شاي ودخلت غرفتها واخبرتها عن لقائها بماكس و كورين وما دار من حديث معهما. وافقت العمة على أن تذهب تينا وتساعد كورين في محلها الجديد.

«يجب أن تفكّري بنفسك قبل كل شيء. يجب ألا تحرمي نفسك من أجلي. وأنا أعتقد أن العمل عند كورين سيعجبك».

عملت تينا بنصائح عمتها. وفي اليوم التالي بعد فطور الصباح ارتدت فستاناً جميلاً وذهبت إلى المدينة، إلى محل كورين.

وجدت الشابة الفرنسية وسط مجموعة من الصناديق في أرض غرفة تعبق منها رائحة الدهان الطازج.

«كنت في انتظارك. يا إلهي! من أين نبدأ؟»

اجتازت تينا الغرفة بعينيها: العلب والأوراق والحبال تملأ الأرض.

«أنا مستعدة لأتلقى اوامرك».

«حسناً. ساعديني في فتح هذا الصندوق».

بينما كانت كورين تفرغ محتوى الصندوق، قالت لتينا أنها هي الوحيدة التي من حقها بيع مستحضرات التجميل من ماركة «كاميل».

«لا أعرف كيف سنبيع هذه المستحضرات الباهظة الثمن، لكني آمل أن يجذب ديكور المحل السياح الكثيرين».

بسرعة بدأت تستمتع بالعمل. بدأت تينا و كورين افراغ محتويات الصناديق التي كانت تحتوي مجموعة كاملة لزينة الوجه ومساحيق للبشرة، ومساحيق للحمام في علب عاجية ومذهبة داخلها الساتان الأزرق الفاتح. ولما وصلا إلى العطور بدأت كورين تعمل في عصبية:

«من أين نبدأ؟»

إنها عطور من مختلف الأزهار.

«آه، هذه الزهور العطرة! إن العطر يعبّر عن الأسرار التي لا تجرؤين على الهمس بها».

أجابت تينا في حزن:

«ليس لديّ أسرار لأمنحها».

قامت تينا بجهد للأبتسام عندما شاهدت كورين تتنشق في لذة رائحة الأنبوب وتقول:

«يا لها من نشوة!»

وضعت قليلاً من العطر على معصم تينا لترى مفعول العطر الممزوج بحرارة الجلد. ثم تلألأت عيناها وقالت:

«يجب أن تضعي هذا العطر بالذات خلال لقائك المقبل مع بيار».

«لماذ بيار؟»

«أنت تحبينه، أليس كذلك؟ وهو أيضاً، يحبك، أعرف ذلك».

«لكنني لا أحبه قطعاً!»

فوجئت كورين وقالت:

«لكنه جذاب!»

«اذن يجب أن تضعي العطر بنفسك».

«ليس هناك إلاّ رجل واحد أحبّ أن أضع هذا العطر من أجله، لكني لست في حاجة إلى هذا العطر، كي...»

لم تلفظ اسم الرجل، لكن تينا فهمت. لا شك أن كورين تحب ماكس ثورنتون، لكن ما العمل؟ تحلّت تينا بالشجاعة وأكملت فتح الصناديق والعلب. لا تريد أن تفسد هذا النهار.

قالت:

«لنترك هذا العطر لمن هو في حاجة إليه!»

كانت تينا تفكر بماكس. هل تجذبه كورين؟ ووفقاً لما شاهدته في المرّة الماضية، أدركت أن صداقة حميمة تربطهما. ربما صداقة وحسب؟ لكنها تعرف ان كورين قادرة على تحويل هذه الصداقة إلى حيث تريد.

شعرت تينا بالتوتر وبعض الانهيار. لقد تصرفت تصرف طفلة، ليلة وصول بيار. لكن لقاءاتها مع ماكس كانت تدل على أنها بدأت تنضج. وفي حزن واصلت عملها.

خلال أسبوع بكامله، كانت الفتاتان منهمكتين في إعداد المحل. افرغتا كل محتوى الصناديق ورتبتا كل صنف على حدة وما زالت كورين تنتظر وصول المجوهرات والزنانير والحقائب والنظارات والمظلات التي تفتح مثل الزهور. كل يوم كانت كورين تغيّر رأيها حول أمكنة وضع هذه الأشياء. كانت تضع الملابس وبذلات السباحة والثياب الداخلية في زاوية ثم تعيد وضعها في اليوم التالي في زاوية أخرى...

«أخيراً حان وقت افتتاح المحل. كل شيء كان جاهزاً ولم يبق إلاّ وصول الزبائن. ألقت كورين نظرة اكتفاء إلى ما حققتاه معاً وسألت تينا:

«هل تأتين غداً؟»

«كيف انتظر أن تقترحي علي ذلك. طبعاً يا كورين سآتي في الغد».

«أنت غريبة الأطوار، يا تينا».

«لماذا؟»

«أنت تعملين عندي منذ أسبوع ولم تطلبي مني أن أدفع لك أجرتك، ومع ذلك لا تمانعين في المجيء غداً».

«طلبت مني أن أساعدك لا أن أعمل عندك. ولقد أمضيت أوقاتاً حلوة هنا».

«أرغب أن أقترح عليك العمل هنا في المحل، لكن في الوقت الحاضر، هذا مستحيل. لقد استلفت الأموال وعليّ أن أردها قبل أن أسمح لنفسي بتوظيف أحد».

كانت تينا متفهمة لأوضاع كورين المادية فقالت:

«لا أريد منك أن تدفعي لي شيئاً على ما فعلته لأساعدك. وإذا كنت في حاجة إليّ مرة أخرى، أرجو ألا تتأخري في استدعائي».

«شكراً».

عضت كورين على شفتيها. فتحت جارور مكتبها وأخرجت من داخله علبة من العاج وقالت:

«إنه العطر إيّاه وبرغم معارضتك فإنني أريد أن تضعي منه غداً، في مناسبة الحفلة».

«أي حفلة؟»

«إنها فكرة ماكس. إنه يصرّ على تدشين المحل وإقامة حفلة صغيرة. لقد دعوت بعض الأصدقاء للعشاء وطلبت من ماكس إحضار بيار معه من أجلك».

«هذا لطف منك، لكن لست متأكدة...»

«هل أنت في حاجة إلى فستان ترتدينه؟ لا تقلقي، لدي هنا كل ماتحتاجين إليه».

تقدمت خطوتين متمايلتين في داخل المحل ثم اقتربت من تينا حاملة فستاناً:

«انظري. ستكون دعاية للمحل، وتعويضاً لتعبك واخلاصك».

عبست تينا. هل تعتقد كورين أنها لا تملك شيئاً ترتديه؟ كيف تجرؤ على أن تطلب منها القيام بدعاية للمحل؟ ولماذا تعتبرها صديقة بيار؟

وضعت تينا العطر بسرعة على المكتب وقالت:

«شكراً. تذكرت أن لدي عملاً ضرورياً مساء غده».

وغادرت المحل قبل أن يتسنى لكورين أن تتكلم.

أمضت تينا بقية النهار بين الغضب والندم. لقد حكمت على الفتاة الفرنسية خطأ. كل ما فعلته كورين أنها قدمت إليها هدية عربون شكر وامتنان.

كان تصرّف تينا خاطئاً وهي تعترف بذلك، لكنها في الوقت نفسه لا تريد قبول العطر ولا الدعوة. إنها تعرف طبيعة كورين الحقيقية. إنها لطيفة لكنها متقلبة المزاج.

في صباح اليوم التالي لم تفاجأ كورين بقدوم صديقتها. الساعات الأولى كانت مليئة بالعمل وقد تجمع عدد كبير من الأهالي والسيّاح أمام واجهات المحل. كانوا مبتهجين لكنهم استغربوا الأسعار المرتفعة.

تينا نفسها كانت تجدها مرتفعة خاصة بالنسبة إلى سكان البلد الشباب. لكن السيّاح وسكان تاهيتي الأغنياء يجدونها مناسبة لهم.

عند الظهر أقفلت كورين المحل وكانت الفتاتان متعبتين، فتناولتا طعام الغداء ثم أخذتا قسطاً من النوم.

كانت كورين فخورة بمحلها، لكنها كانت قلقة بعض الشيء. بذلات السباحة والفساتين الخفيفة والمجوهرات والملابس الداخلية، لقيت إقبالاً كبيراً، لكن مستحضرات «كاميل» لم تلق الاقبال كما كانت كورين تتوقع. الآ أنه لا يمكن الحكم على الأشياء منذ اليوم الأول لافتتاح المحل

نهضت تينا واستعدت للذهاب. فلحقت بها كورين إلى الباب ومدت لها يدها التي تحتوي قارورة العطر وقالت:

«نسيت أن تأخذيها أمس».

«نعم. أعرف. لقد ذهبت في عجلة».

«لا داعي لأن تشرحي لي الأمور، يا عزيزتي، أعرف أن هديتي أزعجتك. أنت حقاً انكليزية فخورة، لا يجب أن نتشاجر»

وفي صمت تناولت تينا قارورة العطر واعترفت لنفسها أنها أخطأت بحق كورين.

«شكراً كورين. هذا كثير عليّ».

هزت كورين بلطف وذكرتها بدعوة الليلة:

«هل غيرت رأيك بالنسبة إلى السهرة، الليلة؟»

لم تكن كورين تجدد دعوتها. لكن ألم يسبق أن رفضت تينا الدعوة في المرة الأولى؟ فكيف تتراجع إذن.

عادت تينا إلى المنزل ووجدت أن العمة ويني ذهبت للقاء بعض الأصدقاء ولن تعود باكراً. إذن عليها أن تمضي السهرة وحيدة.

كانت البحيرة تلمع تحت أشعة الشمس التي توشك على المغيب. تينا تعشق تأمل الطبيعة في هدوء وسكينة. أحضرت لنفسها عشاء متواضعاً، أكلت وغسلت الصحون وانتظرت عودة العمة ويني لتتناول معها فنجان شاي قبل الاخلاد إلى النوم. جلست في الشرفة وفي يديها مجلة وقربها آلة المذياع. في مكان ما تستقبل كورين أصدقاءها وترقص. لا شك أنها محاطة كما يجب بفارسي أحلامها: بيار و ماكس.

أرادت تينا طرد هذه الأفكار، فرفعت صوت المذياع. إن عزة نفسها منعتها من تلبية الدعوة. يجب أن تنسى هذه الهواجس. وفي كل حال لم تكن تنوي قضاء السهرة برفقة بيار!

كانت تقرأ عندما سمعت صوتاً ينادي:

«أنت إذن هنا؟»

كان ماكس واقفاً في باب الشرفة. تركت تينا المجلة من يدها بينما كان ماكس يتقدم نحوها.

وبصوت مخنوق قالت:

«أنت؟»

«نعم، أنا! ألم تستعدي بعد؟»

«أستعد لماذا؟»

«أنت تعرفين جيداً ما أقصد! وأنا لا أحلم».

«أتقصد حفلة كورين؟ لن أذهب».

«لماذا؟»

«ليس عندي جواب لهذا السؤال».

«ليس عندك شيء تفعلينه الليلة».

«وكيف تعرف ذلك؟»

«لأني أعرف ذلك. هيّا انهضي أمامك عشر دقائق».

رفعت عينيها وقالت:

«لن أذهب. عد من حيث أتيت. ستكون كورين في انتظارك».

ثم اخفضت رأسها مدعية أنها تقرأ. فأمسك بمعصمها وأرغمها على الوقف.

وقال:

«هل تريدين أن أغضب؟»

«هذه مسألة تخصك».

«جئت من أجلك!»

«أنت تشفق عليّ؟ لا أريد الشفقة. اذهب عني».

«تهنا، لا أحد هنا يشفق عليك! وإذا لم تسرعي في تغيير ملابسك سأضطر لأن أفعل ذلك بنفسي!»

«إنك لا تجرؤ على ذلك!»

«صحيح؟ حسب كورين، ليس لديك شيء ترتدينه. تعالي وأريني خزانة ملابسك. وأنا سأختار لك ثوباً مناسباً».

«هي قالت...»

«يا إلهي، دعي جانباً حقدك على كورين. إني لا أعرف شيئاً، لكن بامكاني إيجاد تفسير معقول».

«إني أشك بذلك!»

«تينا، عشت ما فيه الكفاية وأعرف تماماً سلوك النساء. تعرفت إلى عدد كبير من النساء الشبيهات بكورين، يعشن فقط على حساب جمالهن وجاذبيتهن. وفي امكانهن أن يتحملن طبعك السيء».

«اذا كنت تعتبرني هكذا، فإني لا أفهم لماذا تصرّ على حضوري».

ابتسم بسخرية وقال:

«حافظي على أحكامك إلى وقت آخر. والآن، يجب عليّ أن ألبسك ثيابك وألقيك في سيارتي أو أنك ستقومين بذلك وحدك كفتاة كبيرة وناضجة؟»

وكان قلب تينا ينبض بسرعة. وكانت جامدة لا تتحرك. فأزاح يده عنها وقال:

«تينا... إذا قلت لك كم اتمنى أن أراك في هذه السهرة، هل تغيرين رأيك؟ لا تبدي استياءك. أرجوك أن تخلعي هذا القناع الحزين».

«لم أكن أعرف...»

«إذن، لا تبقي هنا، تحرّكي».

ومن دون توقّع، انحنى ماكس وطبع قبلة ناعمة على عنق تينا ثم ابتعد وقال:

«هيّا، الوقت يمر ونحن ما نزال هنا».

توجهت تينا نحو الباب. حلّ الحنان مكان الغضب. فما زالت قبلته ترن في أذنيها. فتحت خزانتها وتناولت فستانها الأخضر وارتدته بسرعة.

بدأت تستعيد رونقها وانتعاشها. نظرت إلى المرآة. لم يسبق أن رأت نفسها في هذا ا... وفي أعماق عينيها الخضراوين، حنان كبير.. هل هذا عائد إلى لون فستانها الجميل والمناسب؟...

جلست إلى منضدة الزينة ورأت فجأة صورة والدها. بدأت الدموع تنهمر من عينيها. أدارت الصورة جانباً. إنها ترغب في قضاء السهرة برفقة ماكس...

كان ماكس ما زال في الشرفة يمشي ذهاباً وإياباً:

«عجّلي. هل أنت حاضرة؟»

أعادت صورة والدها إلى مكانها ثم حملتها وقربتها منها، ثم ضمتها على صدرها بينما كان ماكس يدخل الغرفة.

«ماذا جرى لك؟»

«والدي... لقد نسيته».

كانت ترتجف، وفجأة نهضت مسرعة وارتمت في ذراعي ماكس. وقالت:

«أود من كل قلبي أن آتي معك! لكن بسبب...».

كان يضمها إليه بشدة ويقول:

«يجب عليك أن تأتي معي، أنت ترغبين في أن تفرحي ووالدك يحب أن يراك سعيدة».

«لكن...»

«هل تعتقدين أنه يجب أن تكوني حزينة وتعيسة؟»

«كلا، لكن...»

«الحياة مفتوحة أمامك. ويوماً ما ستتزوجين من رجل يليق بك».

«لا أتصور نفسي امرأة متزوجة. كان والدي يغمرني بمحبته ولم يكن لدي حجة لأحب رجلاً آخر. إضافة أن أحداً لم يطلب مني الزواج... »

«سيأتي هذا اليوم... هل أنت مستعدة؟»

تبعتة وتألق وجهها فجأة. شعرت بالامان بين ذراعي هذا الرجل القوي.

وقبل أن تصعد إلى سيارته، ضمها إليه بشدة وعانقها بحنان.

ظلت تينا تفكر بهذا العناق طيلة السهرة. وتحدثا وأمضيا سهرة ممتعة برفقة الآخرين.

أعادها ماكس وكورين وبيار إلى المنزل.

دلفت إلى فراشها وهي تتذكر تفاصيل السهرة. كانت كورين ترتدي فستاناً أبيض رائعاً. وصل ثمانية مدعوين في البداية وانتهت السهرة بثلاثين مدعواً. رقص بيار مرّات عديدة مع كورين ولم يبعد نظره عنها. أمضى السهرة وهو يحاول أن يستميلها.

أما تينا فاستغرقت في سبات عميق وهادىء لم تعرفه في الفترة الحرجة من حياتها.

ولكن في اليوم التالي، وصلتها رسالة...

٦ ـ الرسالة!

على غلاف الرسالة طابع انكليزي. وفي داخلها أوراق كثيرة تعرفت تينا على الخط واكفهرّ وجهها. هذا الصباح، الغيوم تلف سماء الجزيرة والريح تعصف في تقلّب. كانت تينا تتردد في أن تفتح الرسالة السميكة، لكن يبدو أنها حملت معها الطقس الشمالي الآتي من الشواطىء البعيدة.

انكلترا... مهدها الجديد؟ أفقها الجديد حتى نهاية حياتها؟

استدعتها جدتها، وهي لا تقبل أيّ عذر. جمدت تينا لدى قراءة محتوى الرسالة. مطلوب منها أن تعد حقائبها للحال، فجدتها في انتظارها.

راحت تذرع أرض الغرفة ذهاباً وإياباً عاجزة عن اتخاذ أي قرار.

سقطت في المقعد ورأسها بين يديها. ثم نظرت إلى الخارج. توقف المطر وظهرت الشمس بين الغيوم الرمادية. الحديقة تلمع بألوان مختلفة. تاهيتي تستعيد رونقها بعد هذه العاصفة القصيرة. وقطرات المطر الخفيف أبرزت الجمال الأستوائي. مرّات عديدة أظهرت تينا إعجابها بهذا الجمال وتأملته من الشرفة. أما اليوم فإنها تنظر إليه بعينين جديدتين أغمضت عينيها وبدأ تتسرب إلى مخيلتها ذكريات الأمس.

انتابها القلق ضاغطاً على قلبها وبدأت الدموع تنهمر من عينيها. ورأت أن

الأزهار تخفض رؤوسها وتفقد أوراقها، مع كل هبة نسيم.

يا لجنون الأمس! كانت الحياة تمنحها أملاً جديداً وهذا الأمل أختفى الآن.

وانكلترا البعيدة جداً...؟

احتلها الذعر. ماذا تفعل؟

ارهقتها هذه الرسالة. إنها تعني آخر أمل للقاء ولدها. لن تنتظره بعد الآن.

لم تجد ملجأ إلاّ في البكاء. هبطت إلى الطابق الأسفل ودخلت الحمام وغسلت وجهها. حاولت العمة ويني أن تواسيها. سألت المرأة العجوز بعدما قرأت الرسالة للمرة الثالثة:

«ماذا سأفعل؟ كيف أستطيع الذهاب؟»

لم ترد المرأة العجوز، لكنها توجهت نحو النافذة وفكرت لحظة وقالت:

«لا تتسرعي في اتخاذ قرارك. ليس عليك أن تردي على الرسالة في الحال».

«لا، لكن...»

كانت تينا تنتظر شيئاً آخر، قليلاً من التشجيع.

عادت العمة ويني تقول:

«هذا أفضل ما تتمنينه».

صرخت تينا غاضبة:

«ماذا؟ هل تعنين أن عليّ الذهاب؟»

«الحياة ليست خالية من المكائد. يجب أن تفكري في المستقبل، يا حبيبتي. وهذا ما يريده منك وألدك».

ماكس قال الشيء نفسه، مساء أمس. ارتمت تينا في ذراعي عمتها وقالت:

«أعرف، لكن كيف أستطيع القبول...»

«نعم، يلزمك الوقت ولكن إنه الحل الأفضل. وإضافة إلى ذلك فالتغيير سيفيدك

كثيراً».

عادت تينا لقراءة الرسالة.

«لا شك أنهما فكّرا في الكتابة إلي، لكن أن أذهب إلى انكلترا...»

«اسمعي يا تينا، بصراحة، كنت أتوقع منهما أن يتخذا قراراً في شأنك. إنهما أقرب المقربين إليك».

«لم يتصرفا معي كأهل. إنهما يكرهان والدي ولم يهتما بأمرنا بعد وفاة أمي».

«ليست هذه هي الحقيقة تماماً، يا حبيبتي. لم يوافقا على هذا الزواج، لأن والدك كان فرنسياً وفناناً ومفلساً. لم يكن العريس المنتظر لأبنتهما الوحيدة. تشاجرا بعنف عندما قررا أن تعود معهما إلى انكلترا. لكن والدك رفض ذلك. إنهما لا يكرهانه».

«لم أشتق إليهما أبداً. كان لي كل ما أريده، إلاّ... أمي...»

«حان الوقت لأن تنسي كل هذه القصة الحزينة. أليس كذلك؟».

لم ترد. ونظرت العمة ويني إلى جسم تينا النحيل المتقوقع في المقعد. لم تكن في حاجة إلى أن تغمض عينيها وترجع سنتين أو ثلاث إلى الوراء لتلاحظ أن تينا أصبحت اليوم امرأة جميلة، شعرها الأشقر وخداها موردان.

تذكرت الطفلة التي كانت تجلس في المقعد نفسه وتبكي. بعد موت والدتها، فكر والدها كثيراً قبل أن يتخذ قراراً بشأن مستقبل ابنته الصغيرة: أرسالها إلى انكلترا، أو ابقاؤها معه في الجزر؟ طلب نصيحة العمة ويني التي لم تستطع أن تعطيه جواباً. فقررت تينا بنفسها أن تبقى مع والدها، برغم معارضة اليزابيت كينغهان، الجدة التي لا تعرفها.

واليوم، تحت سماء مختلفة، يطرح السؤال من جديد.

كانت تينا ابنة الجزر، ولدت فيها وترعرعت بحرية في هذه البقعة من العالم

البولينيزي. ولم يكن وارداً اقتلاعها من جذورها وغرزها من جديد في ذلك البلد الرمادي: انكلترا.

لكن هذين الجدين العائشين في منزلهما في هامبشاير هما ملجأ الفتاة الوحيد بعدما أصبحت يتيمة. وليس من السهل تجاهلهما، لأنه حتى باعت كل رسوم والدها، فلن يعود لديها شيء تعيش منه.

إن كل الجهود التي قام بها جان ريمون ليؤمن لأبنته مستقبلاً لائقاً، باءت بالفشل. وعندما نصحته العمة ويني بأن يفكر بأمر ابنته، رفض في عناد أن يسمع بأرسالها إلى انكلترا. قائلاً أنه بإمكانه هو الاهتمام بأبنته حتى تتزوج.

والآن أصبحت تينا في الثامنة عشرة من عمرها. ولم تفكر أبداً في الزواج. إنها ترى أخيراً خفايا الحياة السهلة، والتي كانت بمثابة الجنة بالذات. لكن يجب أن تستمر في العيش..

تنهدت العمة ويني ونهضت ثم قالت:

«ليس بامكانك أن تقرري بهذه السرعة. لكن عليك أن تفكري في الأمر بجدية».

«لست بحاجة إلى التفكير. أنت ترين أن الأقتراح ليس سوى دعوة لطيفة وحنونة. لكن اسمعي:»

قرأت تينا مقطعاً من الرسالة:

«المسافة والظروف تمنعانا من المجيء لندبر أمرك الذي لا نعتقد أنه يشكل صعوبة كبيرة. لا شك أن والدك كان يتعامل مع رجل يثق به. وفي امكانه أن يهتم بكل شيء. يجب بيع اللوحات والفيللا بأسرع وقت ممكن. حتى تتمكني من شراء تذكرة السفر إلى انكلترا. جدك وأنا فكرنا بأن دراستك قد أهملت وأن الوقت حان لتعويض ذلك. من السهل جداً للشباب أن يعيشوا حياة هادئة في

هذه البقعة المنزوية من العالم. إننا نأسف لهذه الخسارة المؤلمة لكن عليك أن تثقي بنا. إننا نقوم بكل ما في استطاعتنا من أجل أن تتخلي عن هذه الحياة البوهيمية. إننا في انتظارك آخر الشهر. تقبلي محبة جدتك الغالية. اليزابيت كينغهان.».

توقفت تينا وسمعت العمة تقول:

«ماذا؟»

«إنها دعوة وقحة ولم أسمع بمثلها من قبل».

كان ذلك الصوت آتياً من عتبة الباب. فانتفضت تينا والتفتت صارخة:

«فاي!»

ارتمت الفتاتان في احضان بعضهما البعض، وأسرعت العمة ويني لتقبل ابنتها وتقول:

«يا لهذه المفاجأة. لم أتوقع مجيئك هذا الأسبوع. هل كل شيء على ما يرام؟ كيف حال التوأمين؟»

«كل شيء على ما يرام. سمح لي الحظ أن أستقل الزورق الأول. وسأستفيد من القيام ببعض الشراءات ورؤيتكما. سيأتي بيار في المساء ليأخذني».

«أليس هو الآن هنا؟»

كانت العمة ويني تبدو مستغربة. فضحكت فاي وقالت:

«جئت مع ماكس ثورنتون، كان في طريقه لزيارة العجوز هنري. فقررت المجيء معه. قال لي انه أمضى سهرة جميلة مساء أمس!»

نسيت تينا الرسالة لفترة قصيرة. لم يتسن لماكس أن ينام كفاية. إن طريق العودة إلى كالوها طويل. لماذا لم يمض الليلة في بابيت بدل أن...؟ فجأة شعرت بانزعاج. بعد إيصالها كان في امكانه أن يمضي الليلة مع كورين...

لا.

«لن يتمكن هنري لاتور من الاهتمام بحقول المزروعات وحده. إن حالته الصحية لا تسمح له بذلك وسيبقى ماكس هنا لمساعدته».

ثم ألتفتت إلى تينا وقالت:

«ماذا يجري؟ هل وصلت في وقت حرج؟»

أعطتها تينا الرسالة فانتظرت لترى ردة فعلها.

«لم أكن مخطئة، هل ستذهبين؟»

«لا أعرف. إن جدي في حاجة إلى مساعدتي. لكنني لا أتصور نفسي أعيش هناك».

«لا يمكن لأحد أن يقرر مكانك. أنت في سن ناضجة. لكن بامكانهما أن ينتظرا حتى تبيعي كل شيء، وما زال هناك أمل في العثور على والدك... يعني... ربما غيرّ اتجاه طريقه. ما زال هناك حظ وأمل. لا تذهبي يا تينا».

«لكن يا فاي...»

لم تسمعا احتجاجات العمة ويني. كانت فاي تقول ما كانت تينا تود أن تسمعه.

«ليس هذا قراراً يمكن اتخاذه بسهولة. كل شيء يتعلق بالحقد الذي تشعرينه تجاههما».

«فاي!»

هذه المرة كانت العمة ويني مستاءة. فشعرت فاي بالخجل والتفتت إلى والدتها وقالت:

«المعذرة يا أمي. ما كان يجب عليّ أن أقول ما قلته. لكنها ستكون عبئاً عليهما. كان في امكانهما أن يدفعا ثمن بطاقة السفر على الأقل إنهما شخصان بخيلان وتنقصهما العاطفة».

«نعم، لكن الظروف... إن ذلك صعب عليهما، بعد كل ما حدث».

قالت فاي:

«واليوم يقدمان لها حسنة أو ماذا؟»

«لا أعتقد. إنهما يدفعان ثمن خطوتها الأولى».

«كلا. إن هذه الرسالة شريرة. يريدان أن يقتلعاها من جذورها، من أرضها لا أرى في ذلك ما ينم عن الحب».

شعرت فاي بالاشمئزاز وأوقعت الرسالة وقالت:

«إنهما يعاملانها كحيوان صغير».

شعرت تينا بالارتياح. ما تقوله فاي صحيح، وهذا ما لم تكن تينا تجرؤ على التلفظ به.

«فاي، هل أنت جادة؟ إن تينا مضطربة بما فيه الكفاية».

«وستضطرب أكثر إذا ذهبت إلى انكلترا. اسمعي، أنت تعرفين مثلي سبب هذا العرض. يريدانها ليخمدا حزنهما أو غضبهما لرؤية ابنتهما تفلت منهما. إنهما لا يعيان هذا الأمر، لكن هذا هو الواقع. لن يفوّتا فرصة واحدة لاستعادة تينا وتقرير حياتها كما فعلا مع ابنتهما الوحيدة».

قالت العمةويني بعزم واقتناع:

«نعم، على تينا أن تفكر في الأمر جدياً».

«عليها أن تأخذ وقتها للتفكير. عليها جمع المال للسفر. إن تذكرة ذهاب لا تكفي. كيف يمكنها أن تعود».

ذهبت العمة إلى المطبخ لتعد الشاي. منذ ٣٥ سنة لم تنس العمة ويني تناول فنجان الشاي على الطريقة الانكليزية، إنه العلاج الأفضل لآلام الرأس.

قالت فاي:

«جئت إلى هنا لسبب آخر...»

«أه؟ وما هو؟ سأفعل كل جهدي...»

«روزا حامل ولا تريد أن تأخذ إجازة الأمومة، مع أنها في حاجة إلى ذلك».

فهمت تينا موضوع الزيارة. إن روزا زوجة جول مدير الفندق تهتم بمكتب الاستقبال وتقوم بوظيفتها على الوجه الكامل.

«تينا، تعالي إلى الفندق وأمضي معنا بضعة أسابيع، فقط الوقت الذي احتاج إليه لاعادة تنظيم العاملين عندنا. هناك فتاة تاهيتية ستهتم بالتوأمين لكني لا أعرف تماماً إذا كان في امكانها البقاء لهذا الغرض مدة طويلة».

إن صعوبة إيجاد موظفين ما يزال المشكلة الكبرى التي يعاني منها أصحاب الفنادق، في الجزر كلها وخاصة في كالوها. هكذا تجد تينا خلاصاً من عذاباتها لكنها كانت متضايقة قليلاً.

«سارعت فاي إلى القول ضاحكة:

«هل تودين خدمة من أجلي؟ تعالي وشاهدي روزا بعينيك، إنها حامل بصورة أكيدة. إني أقدم لك مركزاً يتلاءم مع كفاءتك. أنت تتكلمين اللغتين الفرنسية والانكليزية ويمكنك القيام بهذه الوظيفة على أفضل وجه. لكني انبهك إلى أن بول يخشى أن يكون قد أهانك بهذا العرض».

«أنتما تعرفانني بما فيه الكفاية، ولا تريدان أزعاجي، أليس كذلك؟»

«إذن، اتفقنا! لن تملّي في كالوها. سنبعث إلى جدتك برسالة صغيرة نقول فيها: السفر مستحيل: إن تينا تحل مكان روزا التي هي الآن حامل...»

توجهت تينا إلى المحترف تنظفه ثم أقفلت النوافذ الخشبية. إن ذكرى والدها تمنعها من البقاء طويلاً في هذه الغرفة.

عندما انتهت فاي من مشترياتها عادت إلى منزل والدتها وكانت تينا في انتظارها وحقائبها جاهزة، وهي مستعدة للذهاب عندما يصل بيار.

كانت الشمس تغيب وراء قمم موريا، ثم غرقت في نور ساطع، تتدفق منه أعمدة عنبرية، شعلات مذهبة تبدو في السماء ثم غطست في المياه الداكنة. جنح الظلام ملأ المحيط في لحظة. والنجوم تلمع كأنها نقاط صغيرة مبعثرة على لوحة رسام.

جلست تينا قرب فاي في الزورق وراحت تتأمل المياه المتأرجحة كالفضة المطرزة. الرذاذ يلطم وجهها. ربما توقف الزمن وقذفها البحر إلى الأبد.

كيف تستطيع أن تغادر هذه الجزر الساحرة؟

استيقظت قبل بلوغ الفجر. أمامها يوم جديد. بعدما كتبت رسالة إلى جدتها مساء أمس، انزاح عن صدرها ثقل كبير. في كالوها تجد نفسها بامان.

قامت بعملها كمشرفة على مكتب الاستقبال من دون أية صعوبة. المهم ألاّ تفقد صبرها وأن تستعمل ذكاءها وسرعة بصيرتها. السيّاح يضيعون مفاتيحهم، وكاميراتهم، وكتبهم ونظاراتهم، كل شيء ما عدا المال. ويبحثون في استمرار عن معجون الأسنان والأسبرين والدفاتر والمساحيق للوقاية من الشمس، والأدوية للمعدة، والمسكنات... يريدون بسرعة معرفة كيف يمكنهم الذهاب إلى تاهيتي أو موريا أو بورا، أو موبيتي، وحفظ كل الأساطير البولينيزية.

وتينا تعرف تماماً تاريخ الجزر وتقاليدها. كانت ترد على الأسئلة الموجهة إليها. وبعد الغداء أصرّ بول عليها وعلى فاي أن ترتاحا، كانت تساعد فاي في ارسال البريد، وطلب الكراريس وتحضير لائحة الطعام مع جول.

تصرّف بيار تجاهها تغيّر. لم يعد يتبعها من دون توقف. كان يحيطها بعنايته فقط وقد شكرته على ذلك. من حسن الحظ أن حبها لبيار

مات. خلال الاسبوع الثاني في كالوها، وقع حادث غير متوقع:
كورين بالذات، الدائمة الأناقة، تمضي نهاية الأسبوع مع والدها. وصلت مساء السبت، أي بعد اقفال المحل في بابيت. وأمضت يوم الأحد في السباحة والاسترخاء على الشاطيء برفقة ار في المساء، اصطحبته إلى منزل والدها. ولم يعد إلى الفندق إلاّ في الثانية به تصف الليل.

سمعته تينا يتوقف تحد مدة ويصفر كعادته. كان وحده. شعرت بشيء من الغيرة. إن كورين بمع الرجال! و ماكس على اللائحة بكل تأكيد. حاولت طرد هذه الأفكار السيئة. لم يعد يهمها بيار، لكن ماكس... إنه يعرف أنها تعمل في الفندق ولم يزعج نفسه فيأتي لرؤيتها.

نامت غير مكتفية. ستذهب إلى فيللا هنري لاتور. ولما لا؟ فهي ترغب بالحاح وجنون لقاء رجل أحلامها من جديد...

وللأسف، لم يحالفها الحظ فقد أصيب الطفل جاك بجراح بعدما سقط على صخر المرجان. وهذه الجراح خطرة لأنها قد تجلب التسمم إذا لم تعالج بالسرعة المطلوبة. أصرت فاي على بيار أن يأخذ الولد إلى الطبيب. فالجرح عميق برغم أن الولد لم يكن يشعر بألم كبير وهو يتحلى بالشجاعة.

صدق ما كانت فاي تتصوره. حال الولد خطرة. فوجدت تينا نفسها وحدها خلال جزء كبير من النهار وعهد إليها العناية بأندريه الذي لم يبارحها لحظة واحدة. فالتوأمان عندما يبتعدان عن بعضهما البعض، يشعران بالاوجاع نفسها!

عندما أخلد التوأمان إلى النوم في قيلولة بعد الظهر، شعرت تينا بالتعب والارهاق، وكذلك فاي. فاسترخيا حول فنجان شاي. كانت تينا حزينة ومرتاحة في الوقت نفسه. لقد أجّلت زيارتها لماكس إلى يوم آخر. بعدما حاولت

بقوة أن تراه، تخشى الآن أن يستقبلها ماكس ببرود وتعجرف. كيف بامكانها أن تكون لديها هذه الأفكار بعد العناق الحنون الذي تبادلاه عند كورين؟

كانت غارقة في افكارها فلم تلاحظ أن فلي تفتش في حقيبتها لتخرج رسالة:

«لقد نسيت أن أقول لك وصلتك رسالة».

ومن مجموعة الرسائل أخرجت فلي ظرفاً. فهمست تينا مشمئزة:

«آه، لا!»

إنها رسالة من جدتها. رسالة صغيرة ترد عليها وتقول بأن التفتيش عن اليخت الذي طلبه السيد كينغهان لم يعط أية نتيجة إيجابية. كما أرسلت لها ثمن بطاقة الذهاب ومبلغاً كافياً للنفقات اللازمة. وبرغم كل شيء كان المقطع الأخير من الرسالة يحمل علامة حنونة وعاطفية:

«إننا ندرك خيبة الأمل التي تعكر أيامك. ومن الطبيعي التردد قبل مغادرة الأصدقاء، لكنك ما تزالين صغيرة، يا تينا... إنه الحلّ الأفضل. نحن في انتظارك. ارسلي إلينا بسرعة موعد وصولك».

يبدو أن هذه الجدة تستعمل كل الوسائل لاقناع حفيدتها، كأنها تتوقع من تينا أن ترفض تلبية دعوتها.

كان لهذه الرسالة تأثير سلبي على تينا التي بدأت تشعر بأن الأيام الهادئة التي أمضتها في الآونة الأخيرة بدأت بالزوال. والمال المرسل إليها يفرض عليها الأستسلام والرحيل.

من دون إحداث أي صوت دخل بيار إلى الغرفة. نظر إلى المرأتين وسأل:

«والآن ماذا جرى؟»

وقفت تينا: إنها لا تملك الشجاعة الكافية لتتحمل حديثاً آخر. كانت تبحث

عن الوحدة لتفكر وتقرر وحدها.

قالت بحدة:

«أنا خارجة. إني أشعر بالحر الشديد».

نهض بيار لكن فاي أمسكت من ذراعه: لا داعي للحاق بها.

كانت تينا تركض وهي في سروال قصير وقميص قطنية. غريزتها كانت دليلها. أخذت طريق الشاطىء ووجدت نفسها أمام الحدود الصخرية. الشمس تنخفض ورائحة الفانيللا الناعمة تموج تحت ظلال أشجار جوز الهند.

صعدت نحو فيللا هنري لاتور ودخلت دون تردد. رأت الوسائد البيضاء حيث أسقطت القهوة. عادت ذاكرتها إلى الماضي وشعرت بالقلق نفسه.

ظهر كيم على عتبة باب الشرفة واقترب منها. لم يتمكن من إفادتها عن مكان وجود ماكس الذي كان غائباً عن المنزل، في مكان ما من هذه الأرض الشاسعة. ولم تكن تعرف من أين تبدأ البحث ولم تكن تجرؤ على انتظاره في المنزل.

في خيبة أمل، دخلت الى الأرض المزروعة. يا له من جنون ما يمكن لماكس أن يفعل ليساعدها؟ يجب أن تعود إلى الفندق قبل حلول الظلام.

اجتازت المشاتل التي غادرها العمال والعصافير. لم تكن تينا تريد العودة. راحت تتمشى على طول الطريق إلى أن وصلت إلى مفترق طرق، أحدها يصعد إلى التلة. خلال زيارتها المتكررة إلى الجزيرة كانت تينا تكتشف الزوايا العديدة، لكنها لم تكن تعرف هذه الزاوية. الطريق يقطع المزروعات ويصل في النهاية، إلى قرية أكايا ومن هنالك تعرف طريق العودة. لا يمكن للانسان أن يتيه في كالوها.

في اضطراب كانت تمشي منذ فترة طويلة إلى أن اختفت مشاتل الفانيللا.

الأرض الجافة غير الممهدة والصخور الناتئة. الصمت والجو. كل شيء بات غريباً... وصلت تينا إلى قمة التلة على بعد خطوات قليلة من هيكل ماراي القديم.

وحدها أشعة الشمس تتسرب من بين حجارة هذه الآثار المهجورة. اقتربت من أحد الصخور، وقبل أن تجلس تذكرت انه ما من أحد تجرأ أن يلمس شيئاً مقدساً. لكن ماذا تفعل هنا، هذه الفتاة التاهيتية، بعد غروب الشمس؟

بدأت تينا ترتجف. ما كان يجب عليها أن تخاطر بالمجيء إلى هذا المكان البعيد. اختفت الشمس وراء المحيط. يجب أن تعود إلى الفندق قبل أن تقلق فاي عليها وترسل بيار وراءها. لكن ما من أحد يخطر في باله أنها موجودة هنا...

جلست تينا على الأرض غير قادرة على الحركة. تشعر بالارتياح وهي تتأمل حلول الليل.

وغرقت الجزيرة في بحيرة نحاسية. من بعيد، الأمواج تفقش على صخور المرجان الوردية.

فجأة، سمعت صوتاً يدوي. انحدرت صخرة فانتفضت تينا مذعورة. النسيم البارد جمدها. وقفت وترددت قبل أن تختار الطريق. وفضّلت سلوك طريق المزروعات. الطريق أطول لكنه أقل تعرجاً.

كانت تمرّ في هدوء عندما شاهدت ظلاً في القطاع الأسفل. فارتعبت. كان الظل يتحرك وضوء شحيح يرافقها. اجتاحها الذعر وحاولت استعادة وعيها ظلت تسير إلى الأمام كابتة هلعها.

فجأة سمعت صوتاً ينادي:

«تينا!»

شعرت بالأرتياح إذ عرفت هوية من يناديها. الظل والضوء آتيان من شبح ماكس ثورنتون الذي كان يقترب نحوها.

«يا إلهي، ماذا تفعلين هنا؟»

«أنا؟ لا شيء... كنت أتنزه.»

«ليس هذا المكان للتأمل والتفكير!»

«صحيح، كنت عائدة...»

«هل هناك شيء على غير ما يرام؟»

«هناك دائماً شيء على غير ما يرام.»

«حاولت رؤيتي، أليس كذلك؟»

«آه! كيم قال لك...»

«رآك تتجهين نحو التلة.»

«وأنت جئت إلى هنا من أجلي؟»

«هل طرأ شيء ما؟»

«كنت أود أن أستشيرك في أمر. ليس بإمكانك أن تقرر مكاني، لكن...»

«أخبريني ما عندك».

أخبرته تينا كل شيء، فكان يبدو حائراً.

«لم أرك منذ سهرة كورين. في اليوم التالي وصلت رسالة من جدتي فأجبتها أنه من المستحيل عليّ أن أرحل من هنا. لكنها مصرة وأرسلت لي رسالة أخرى.»

ظل ماكس صامتاً، ثم قال في هدوء:

«لماذا لا تذهبين؟ السفر إلى انكلترا سيفيدك! لا تكوني حزينة هكذا».

«أذهب من هنا؟ إلى انكلترا؟ هل تعرف ما هو ثمن البطاقة والمسافة التي تفصلنا؟»

«أعرف. لقد ذهبت إلى انكلترا منذ وقت قصير. لا شك أن جدتك قادرة على أن تؤمن لك حاجاتك».

«صحيح، لكن أن أعيش معها، لا شكراً! إنها تدفع لي تذكرة الذهاب فقط. يعني ليس هناك أمل في العودة!»

تنفس ماكس الصعداء وتابع يقول:

«هناك طريقة سأقترحها عليك».

«وما هي؟»

«لتكوني مستقلة، ادفعي أنت ثمن بطاقة العودة».

«لن يقرضني البنك هذا المبلغ».

«لم أكن أقصد البنك».

«إذن من؟ من العمة ويني؟ لن أبيع المنزل».

«أطلبي مني أن أقرضك المبلغ».

«منك؟»

«نعم، مني. وافقي على اقتراحي. وسوف تعودين إلى تاهيتي بعد وقت قصير. سأتصل بالمصرف الذي أتعامل معه في لندن ليسلفك المبلغ الذي تحتاجين إليه للعودة. وبهذه الطريقة، تكونين رابحة وفي الوقت نفسه تسعدين جدتك».

لم تتلفظ تينا بكلمة واحدة. هذا العرض لم تنتظره. شعرت بحيرة وارتباك وقالت:

«ولماذا تقدم لي هذا المعروف؟»

«لست أنوي الأفصاح عن السبب، يا ابنتي الصغيرة...»

«هل تشفق علي؟»

«بل إنني أشعر بالأسف عليك».

«كلا! لا أريد الشفقة!»

«ولما لا!»

هزّ كتفيه فقالت:

«لا يمكنني أن أقرر الآن. سأفكر بالأمر ملياً».

«لا تقولي المزيد يا تينا».

«بل...»

فجأة أمسكت بيديه وقالت:

«ماكس، أنت لطيف جداً... وأنا استحسن ذلك... لا يمكنني أن أقول أكثر... إن لطفك يؤثر بي...»

اختفى صوتها في العتمة. كانت متمسكة به، بالرغم منه. لكنه تقلص ولم يتجاوب معها. قال:

«لا تقلقي».

«كيف أستطيع أن أقبل هذا المبلغ من المال؟»

«ماذا تعنين؟»

«آه، لا أعرف...»

وفي يأس ارتمت على صدره فأفلت منها وتمسك بذقنها وأرغمها على النظر إليه وقال:

«أي دور تريدين أن ألعبه؟»

«إنني لا أفهم، يا ماكس».

«لا تتصرفي في براءة، تريدين أن أحل مكان والدك!»

«كيف تفكر بمثل هذا الأمر؟»

«إذن أية علاقة تربطنا؟»

فجأة بدأ جسمها يرتجف. ثم هزت رأسها بعصبية وقالت:

«نحن صديقان فقط وما تعتقده ليس سوى نظريات سيكولوجية سطحية».

«لم أكن أتوقع مثل هذه التظاهرات العاطفية. والعكس يفاجئني بل أقل...»

«إنني عاطفية جداً وهذه هي طبيعتي. اعتقدت...»

«اعتقدت ماذا؟»

«... إنك ستصبح صديقي الحميم الذي أبوح له بكل أسراري. مثل بول...»

«لا تدعي السذاجة! كوني صريحة يا تينا!»

«إنني صريحة. أن اعتبرك مثل والدي هذه تفاهة وهراء!»

«هكذا إذنْ؟ إنك تبحثين عن والد بديل؟»

أمسكها فجأة بكتفيها وجذبها نحوه. كان يضغط عليها وهي لم تكن تحاول التخلص من قبضته.

«لست أنوي أن أكون والداً لك أو لأي فتاة أخرى. إن شيئاً آخر يحصل لنا...»

امتدت يد ماكس على طول رقبتها النحيلة.

«الصداقة غير موجودة بين الرجل والمرأة...»

راح يعانقها بعنف وهي تستسلم له. إنه العناق الثاني ولا شك أنه تعبير عن محبة ماكس ثورنتون لها. عندما عانقها بيار، لم تشعر بالخوف الذي يعتريها الآن. ماذا إذن؟

راحت أصابع تينا تندس بخجل في كتفي ماكس، كانت تستسلم لغريزة الأنثى فيها. وفجأة أبعدها عنه.

دار العالم كله حولها. كان يمسكها بيد واحدة. ارتعشت وشعرت بالبرد وراحت

ترتجف في خوف مجهول. لماذا لا يتكلم ويبقى جامداً كأنه...

استعادت شجاعتها وقالت:

«لا تحدق بي هكذا! سامحني... إنها غلطتي».

«يا إلهي! كان علي أن أعرف... سامحيني يا تينا، إنها غلطة...»

تابع يقول:

«يا تينا، أنت فعلاً امرأة بسيطة إذا قارنتك بفتيات الجزر!»

البرد والألم احتلا جسدها. ولمدة وجيزة توقف الزمن. كأن الحياة تبدأ من جديد من أجلها. ما أجمل هذه اللحظات القصيرة، لحظات النشوة! كانت ترغب في الهرب والنجاة، مثل حيوان جريح، عادت إلى الوراء وقالت:

«إنني أشعر بالبرد. أنا عائدة!»

«لا. هل تريدين أن تكسري قدمك».

وقف في مواجهتها فقالت:

«لا لن أصاب بأي أذى».

«تينا اسمعي قبل أن تغضبي. هل تدركين أن...»

«لست غاضبة. أنت...»

«حسناً. يجب ألا تستسلمي كلما عانقك رجل، آن لك أن تتعلمي الحب».

«كيف تجرؤ على قول هذا! أنت بدأت...»

«نعم، لكن بطريقة لطيفة...»

«لم أطلب منك أن تعانقني!»

«لا؟ ألا تعرفين قيمة العناق؟»

وضع يديه على كتفيها، فقالت:

«إنك تنظر إلى الأمور بجدية».

«ليس كما تتصوّرين. كل شيء يمكن أن يحصل بأسرع مما تظنين سأكون حذراً في المرة المقبلة!»

«هل سيكون هناك مرة مقبلة؟»

«... لا، دعيني أنهي حديثي. هناك أمور أكثر أهمية، خصوصاً تلك التي بدأنا الخوض فيها».

تذكرت تينا عرضه: الذهاب ثم العودة.

«وهل تعتقد أنني سأوافق على عرضك؟»

«ولما لا؟ هل هذا العناق سيغير الأمور؟ بالنسبة إليّ كل شيء ما زال كما كان في بدايته. وماذا بالنسبة إليك؟»

ضمها في ذراعيه وقال:

«هيّا سأوصلك. وسنحتسي كأساً معاً. أرجوك أن تقولي لي أي شيء ونحن في الطريق كما أرجو أن تنسي هذا العناق. هيا بنا يا تينا».

فضلت الرضوخ على المقاومة لكنها شعرت وكأنها أصيبت في كبريائها. هذا الرجل يجذبها. تركته يدها إلى الطريق في صمت ولم تسحب يدها من كتفه.

لم يسبق لها أن تمادت هكذا مع ماكس ثورنتون.

٧ ـ العرض المرفوض

لم كن تينا لفترة معينة قادرة على العودة إلى الواقع. كانت جالسة بمواجهة ماكس في قاعة الاستقبال العائدة لهنري لاتور، تشرب كأسها في هدوء وتصغي إليه، كأنها علاقة قديمة سطحية. كان يتكلم بتهذيب كأن الحب لم يلتقطه في ظلمات مارلي. كان مسترخياً وممدداً على الأريكة، يستعلم عن أخبار التوأمين. وعبّر عن قلقه لحال هنري العجوز إذ قال:

«يعتقد الأطباء أن هنري يجب أن يتقاعد عن العمل. ولا يمكنه أن يعيش بعد الآن وحيداً».

«لكن ابنه عائد قريباً وسيهتم به».

«لن يبقى ألكسيس هنا. إنه آت فقط ليطلب الغفران من والده. ومجيئه يؤذي أكثر مما يفيده».

استغربت تينا هذا الكلام. كيف يمكن أن يكون مجيء الأبن مؤذياً للوالد. لم يتابع ماكس كلامه حول هذا الموضوع لكنه سألها إذا كانت مرتاحة.

«نعم، شكراً».

شعرت تينا بالتعب وقالت:

«من الأفضل أن أعود...»

نهض وقال:

«سأحضر لك سترة تقيك البرد».

ذهب ثم عاد يحمل سترة صحراوية. لاحظت تينا وجود حقيبتي سفر في المدخل فقالت:

«هل أنت راحل».

«لبضعة أيام».

وضعت تينا السترة عليها والتفتت إليه وابتسمت شاكرة. أرادت أن ترتمي من جديد بين ذراعيه لتشعر بحرارته. أرادت أن تضمه إليها... ثم تراجعت:

«لا داعي لمرافقتي. سآخذ طريق الشاطىء».

«لست مضطراً إلى مرافقتك، لكنني سأفعل ذلك»

لحقته إلى حيث الدراجة النارية. كانت المسافة قصيرة. كانت وراءه تتعلق بالحزام حتى لا تلمس صدره العارم المنحني أمامها.. لم يفه ماكس بأي كلمة.

ولما وصلا إلى الفندق، نزلت فقال لها:

«فكّري ملياً في العرض الذي اقترحه عليك، وأرجو أن يكو لديك جواب عند عودتي».

«لقد قررت. لا يمكنني أن أقبل العرض».

«لماذا؟»

«لأنني لن أستطيع أن أرد لك جميلك».

حدّق فيها بجمود ثم قال:

«لو كنت مكانك لقبلت العرض».

«لكن هذا غير معقول. لن أعيش طويلاً لأستطيع أن أجمع كل هذا المال».

«أعتقد أن لديك الحظ في العيش أكثر من ٥٠ سنة».

«ربما، لكن الأمور ذهبت أبعد مما يجب. لا يمكنني القبول».

«ليس من عادتي أن أجازف بالمال، يا تينا. أنت فتاة صعبة».

«لست في حاجة إلى مساعدتك».

«سأصدق ذلك»

«لم أعد تلك الفتاة الصغيرة الطائشة. آن لك أن تفهم ذلك».
«لا أرى أنك قادرة على اتخاذ القرارات الحاسمة».
شعرت فجأة برغبة قوية في أن تجرحه كما جرحها.
«لن أتكل على رأيك. من السهل أن تقدّم لي المال ما دمت رجلاً ثرياً! هذا لا يحل شيئاً! لا! إنه آخر شيء أطلبه منك».
ابتعدت بسرعة.
«تينا»

لم يكن ذلك صوت ماكس. التفتت لترى أمامها بيار. كان يفتح باب الحديقة وإمارات القلق على وجهه. كان ينظر إلى تينا وإلى الظل فوق الدراجة النارية.
«ماذا يجري هنا، يا حبيبتي؟»
تقدمت تينا منه وارتمت في احضانه باكية. حدث شيء ما بينها وبين ماكس. كانت تستسلم عندما كان بيار يهمس في أذنيها كلمات ناعمة ليهدىء عصبيتها. سمعت صوت المحرّك ثم حلّ الصمت. ابتعدت عن بيار وهزت رأسها وقالت:
«إني آسفة، لم يحدث شيء».
صعدت إلى الشرفة و بيار إلى جانبها. وما أن توقفت حتى أخذها بيار بين ذراعيه وقال:
«ماذا كان ثورنتون يقول لك، ولماذا يقدم لك المال، إني لا أفهم».
«القضية ليست قضية مال. لا أريد أن أناقش الموضوع معك».
«ما كنت تريدين هذا النوع من العون؟ كنت تصرّين على القول أن المال هو آخر شيء تفكرين فيه. ماذا يجري بينك وبين ماكس ثورنتون؟»
«لا شيء».

احتلها التعب والانفعال والحزن مرّة واحدة. ترفض تينا أن ترى الواقع. لقد تصرفت بجنون. هناك فوق على تلة ماراي، وأبعدها ماكس عنه لأنه أدرك جنونها وخطره عليها. لكن لماذا لا يمكنها قبول ماكس كما هو، ذلك الرجل

الناعم، المتسامح، الصابر، الغفور، المضحي الذي لا يفهمه أحد.

أمسك بيار بسترتها وقال:

«وهذه السترة، تخصه، أليس كذلك».

«نعم، لكن...»

«لا أحب ذلك! لا أحب ثورنتون! ولا يمكنني أن أتصوّرك ترتدين شيئاً يملكه ثورنتون، وهذا يعني أنك صديقة حميمة له».

«لكن لا، يا بيار، فقط لو...»

«اخلعي هذه السترة!»

«سأفعل».

اغتنمت تلك الفرصة لتتخلص منه وركضت نحو السلالم وتوجهت إلى غرفتها.

طرقت فاي الباب وفتحت لها تينا بعدما ارتدت فستاناً وردياً.

«ماذا حدث لك؟»

«لا شيء يا فاي. اردت أن أستشيره وآخذ رأيه».

«إن ماكس انكليزي محافظ ماذا عن قصة المال؟»

تنهدت تينا كانت تفضل ألا تتكلم عن هذا الموضوع لكنها أخبرت فاي كل شيء.

«يقول ماكس أنه يجب أن أذهب إلى انكلترا لقضاء ثلاثة أشهر وإذا لم يعجبني الوضع هناك، أعود. وهو يقرضني المبلغ للعودة».

جلست فاي بهدوء على طرف السرير وقالت:

«هذا هو اذن سبب الأزمة، إنها فكرة حسنة! هذا لطف منه! لكن كيف ستعيدين إليه المال؟ ولماذا تطلبينه من ماكس، إذا كنت في حاجة إلى المال، كان بامكانك استشارتنا».

«لا، لم أفتح موضوع المال! لقد طلبت منه نصيحة، فقط لا غير...»

نظرت فاي إليها بصمت، وعضت على شفتيها».

«ولا شيء آخر».

«كلا».

«لا أفهمك تماماً، يا تينا؟ كان عليك أن تشكريه... حتى ولو... راح يستعمل لهجة آمرة».

«لقد شكرته».

اخفضت تينا رأسها، تريد قبل كل شيء أن تبقى وحدها. نهضت فاي وقالت:

«هل هناك شيء بينكما».

«كلا. ما يحدث للغير لا يحدث لي... لا، ليس لي! إني لا أحبه!»

«كنت دائماً تدعين ذلك. لكن الكره قد يكون إشارة إلى العكس!»

«ماذا تقصدين؟»

«إنك تحبينه!»

«هذا وحي مخيلتك!»

«ربما! ثم ما دمت تكرهينه، لماذا تسألينه رأيه؟»

«لأن... آه! فاي اسمعي، إن الكلام عن ماكس ثورنتون يزعجني. لا أريد شيئاً، ورأسي يؤلمني!»

«عليك أن ترتاحي. خذي حبة أسبرين».

نزلت فاي إلى الطابق الأسفل واحضرت لها حبة أسبرين تناولتها تينا مع قدح ماء وشكرتها وقالت:

«أنت تهتمين بي أكثر مما أستحق».

«ألم تهتمي بي، في الماضي».

تذكرت تينا المشاجرات التي كانت تحصل بين فاي و بول قبل زواجها. لكن تينا لم تكن ترغب في الاعراب عن خيبة أملها وتعاستها لفاي.

«ستتحسنين في الغد».

لكن تينا لم تتحسن في الغد. الرسالة تنتظر جواباً. وأمام كل فكرة كانت تصاب بصداع أليم. لم تنس ماكس ثورنتون. لماذ عانقها بهذا الشكل؟ لماذا عرض عليها المال؟ هل يشعر نحوها بعاطفة؟ إذا كان يشعر بالشفقة تجاهها، فلماذا

أهانها؟ عندما يعانق الرجل المرأة لا يفعل ذلك بداعي اللذة أوالحاجة الجسدية. إذن، ماذا هي حقيقة شعوره تجاهها؟ هذا السؤال الأساسي يعذبها لأنها في الحقيقة لم تفهمه ولن تفهمه. لم يكن ماكس يبحث أبداً عن اللذة معها، لكنه جاء من أجلها في سهرة كورين وفي كل الأوقات. هل هي حقاً تبحث عن بديل لوالدها؟ هل حاول معرفة الحقيقة؟ كانت تخفي عاطفتها تجاهه، فهل أكتشف هو ذلك؟

كانت تينا ترتجف كالمجنونة... وفجأة قررت قبول دعوة جدتها.

اقترح بيار أن يصطحبها معه إلى بابيت ليقوم ببعض المشتريات الخاصة بالفندق. فقبلت تينا مرافقته... مرّا على البنك. كانت الحوالة البريدية قد وصلت من جدتها، فسلمها الموظف الشيك.

قال بيار:

«لا تقلقي، لست مضطرة إلى إستعمال هذا المبلغ من المال».

ذهبا إلى أحد المقاهي وجلسا في الشرفة واحتسيا فنجان قهوة.لكن تينا ظلت متضايقة من ترددها. كيف تتجاهل هذه الرسالة. ألم تحاول كل مساء أن ترد عليها من دون جدوى.

قال لها بيار في حدة:

«لا تذهبي! ابعثي إلى جدّيك برسالة تقولين فيها أنك لن تسافري. ستبقين هنا، معنا».

نظرت إليه فعرفت أنه الانسان الوحيد الذي لم يكن يرغب في اقناعها بالرحيل.

كأن وجودها في انكلترا يمكن أن يمحو خسارتها الشنيعة، هذا الجرح الذي لا يشفى. حتى ولو ذهبت إلى أبعد مكان في العالم، فإنها لن تنسى ولن تسعد ولن تأمل.

كان بيار مضطرباً ومتأثراً. كان يقرأ بوضوح ما يختلج في قلب تينا. ابتسمت وقالت:

«أنت ترى كل شيء من دون أن تكون في حاجة إلى الكلام. أشعر بحاجة إلى ثقتك».

«في الواقع أنت لا تعرفين جدّيك فكيف يمكنهما أن يساعداك؟»
«لا أعرف، بدأت أرى الأشياء بمنظار مختلف. من الآن وصاعداً لم تعد الوحدة كلمة مستحيلة. لقد خسرا ابنتهما الوحيدة. لم يرياها منذ رحيلها إلى الجزر. وبعد موتها، رغبا في أن أعود، لكن لم أكن أريد ذلك كما أن والدي رفض العودة. وهما الآن عجوزان وفي امكاني أن أجعلهما ينسيان هذا الحزن الكبير».
«هذا غباء يا تينا. أنت قلت لي أنهما متسلطان. سبق لي وطرحت الموضوع مع بول و فاي. لن تتحمّل أن نراك حزينة في استمرار».
«أحاول أن أستمع إلى صوت العقل».

كانت تتكلم في بطء. رفعت رأسها لعلها ترى في وجه بيار حلاً لمشكلتها، لكنها شاهدت كورين وهي تدخل إلى المطعم. بعد أن رأتهما توجهت نحوهما.

طلب منها بيار أن تجلس إلى مائدتهما لكنها اعتذرت قائلة:
«لدي موعد مع صديق. وفي نهاية هذا الأسبوع سأذهب إلى كالوها عند أبي».

تأملها بيار لحظة وابتسم وقال:
«كنت أعتقد أنك منهمكة كثيراً هذه الأيام! سأراك بلا شك في نهاية الأسبوع، إذا كنت ترغبين في ذلك».
«نعم، نعم، سأراك».

أنحنت كورين نحو تينا وقالت:
«في كالوها يمكن أي انسان أن يتسلى ويلهو كما يشاء».

ابعدت الفتاة الفرنسية يد بيار الموضوعة على كتفها وقالت:
«هل عاد ماكس؟»

رفعت تينا وجهها مصطنعة اللامبالاة وقالت:
«لا أعرف».

صمت بيار وأكملت كورين الحديث:
«لم أعرف رجلاً كتوماً مثله. لم يكلّمني عن هذه السفرة ولا عن مكانها. كأنه يريد اخفاء شيء ما!»

قال بيار بجفاف:
«هذا ممكن!»
«كلا يا بيار، أنت دائم الشكوك».
«هذا الرجل الانكليزي البارد يحيط نفسه بالأسرار والألغاز، فتقع النساء في حبائله. يا لهذه السذاجة».
قهقهت كورين وقالت:
«لكنك يا صديقي أنت لا تملك قلب امرأة».
لم تعد تينا تتحمل كل هذا. ولحسن حظها جاء رجل أشقر طويل القامة واصطحب كورين إلى طاولة في زاوية المطعم.
قال بيار في اشمئزاز:
«إنه أميركي الجنسية!»
وضع الرجل ذراعه حول خصر كورين واتجها إلى الطاولة المحجوزة. أما بيار فكان متقلص الوجه، لأنه لا يحب الشعب الأميركي كما أنه لا يميل إلى الشعب الانكليزي. ولم تكن تينا في حالة مزاجية تسمح لها في التمادي بالدفاع عن هذه الاعتبارات. في كل حال، كل ما يمكنها قوله بهذا الشأن لن يغير رأي بيار.
وخلال العودة في الزورق كانت شاردة الذهن. البحر كان هائجاً وأصرّت تينا على البقاء على سطح الزورق وعدم الدخول إلى الحجرة. كانت تستعيد تعبير نظرات كورين عندما فتحت موضوع ماكس. وكان واضحاً أنها تميل إليه. لكن ما هو موقف ماكس؟...
كانت تحدق في الزبد الرمادي... لماذا تصرّ على التفكير بقصص ماكس و كورين. يجب ألا تفكّر إلا بالعلاقة التي بينها وبين ماكس. كل شيء واضح وجليّ، فقد قررت في عزم أن تنساه.
وعندما وصلت إلى الفندق، لم تكن تشعر بأن شهيتها مفتوحة لتتناول العشاء. فاعتذرت من فاي وصعدت إلى غرفتها. يجب كتابة الرسالة لأنه لم

يعد أمامها الوقت الكافي لأعطاء الجواب اللازم.

لكن أمام الصمت والورقة البيضاء، رمت قلمها جانباً وتمددت على السرير. كيف تستطيع اتخاذ قرار نهائي؟ كيف تستطيع مواجهة المجهول؟ هل تقبل عرض فاي أو تعود إلى بابيت وتعيش وحدها؟ شعرت وكأنها ستختنق في هذه الغرفة. لماذا لا يتيح لها جداها وقتاً أطول للتفكير. يجب أن تنضج في رأسها فكرة تغيير حياتها! لو أنها شعرت بالمودة لكان السفر مقبولاً. لكن كلامهما الحنون لم يكن خالياً تماماً من المرارة واللامبالاة والخشونة.

واليوم، مستقبلها في أيديهما! أطفأت النور وخرجت إلى الشرفة ثم هبطت إلى الحديقة. لم يكن هناك وجود لأي كائن حيّ. الشاطىء خال راحت تصغي إلى صوت الموج المستمر. الندم يثقل عليها. ليس في امكانها مغادرة الجزر، والبيت وعاداتها. غير أن الرحيل سيبعدها عن ماكس ثورنتون.

منذ ثلاثة أيام اكتشفت أن ماكس يسكن قلبها. لقد مزق غشاء الجهل في تلك الليلة، في ماراي...

«حبيبتي ماذا جرى؟»

انتفضت تينا لدى سماعها صوت بيار. اقترب منها وهمس في اذنيها وأمسك يديها. فقالت:

«بيار، لقد اخفتني! لم أسمع خطاك».

«المعذرة. ماذا تفعلين هنا وحدك؟»

«أردت أن أكون وحدي لأستطيع مراجعة أفكاري».

«بماذا تفكرين. باتخاذ قرار حاسم. لا، لا تحاولي أن تقنعيني بأنك ما تزالين تفكرين في الموضوع؟»

جذبها نحوه وقال:

«ظننت أننا انتهينا من الموضوع!»

«ليس الأمر بهذه السهولة! لو فقط..!»

ظلّ صامتاً. فابتعدت عنه لكنه التفت إليها وقال:

«تينا...»

«أنا متعبة يا بيار ولا أرغبْ في الكلام».

«لن أفتح الموضوع ذاته بعد الآن، لكن اسمعي ما سأقوله!»

««لا تضيف شيئاً. أنا سأقرر وحدي».

«حتى ولو كنت قد وجدت لك حلاً».

«ليس هناك حلّ. إما أن أبقى أو أن أذهب. هذا أمر واضح!»

«لدي فكرة أفضل».

نظرت إليه غير مصدقة. ربما لديه أمل آخر.

«ماذا؟»

«أبقي هنا وأتزوجك؟»

«ماذا! ماذا قلت».

«قلت، سأتزوجك».

لم تصدق تينا ما سمعته. إن عرض بيار بالزواج منها كان آخر ما تتوقعه. لم يكن هذا الأمر في رأيها جدياً.

«بيار، أرجوك، لا تسخر مني».

قال في استغراب:

«أنا لا أمزح بشأن الزواج منك. ثقي بي يا تينا، أنا ما قلت هذا للتسلية!»

«لكن...»

اقترب منها. كان يتكلم بجدية:

«لماذا لا نتزوج؟ سأتزوج يوماً من الأيام ولماذا لا أتزوجك أنت؟»

هذا المنطق أخافها، نظرت إليه في دهشة وذهول وقالت:

«ومادلين؟ ظننت أنك ما تزال واقعاً في غرامها؟»

هز رأسه وقال:

«إنه الماضي البعيد، يا حبيبتي. لن أضيّع حياتي في الحسرة والندم. يجب أن يأمل الانسان دائماً في السعادة».

لم تشعر بأن بيار صادق في كلامه. إنه يجد بسهولة شيئاً ليقوله:

«لم تكن بالفعل حزيناً لخسارة مادلين».

«إذن، يا حبيبتي، ما هو جوابك؟»

لم ترد في الحال، فأمسك بذقنها وهي أرادت التخلص منه فقالت:

«أنت تفاجئني. تصورت أنك تحب كورين!»

«كورين! ... آه، نعم، هل لاحظت ذلك».

«وتحدثني الآن عن الزواج. إنني لا أصدقك يا بيار ولا أراك جدياً».

«هل أنت غيورة؟»

«من كورين؟ طبعاً لا. لماذا لا تقترح عليها الزواج منك؟»

«آه، لا!»

ثم هز رأسه وأضاف:

«لا أحب الأنسياق وراء امرأة دساسة ومتآمرة».

«كورين، امرأة دساسة ومتآمرة؟»

«نعم».

«ماذا تعني؟»

قهقه بيار عالياً وقال:

«ألم تلاحظي؟»

«مثل ماذا؟»

«لقد اختارت كورين رجلاً آخر».

«من؟ ماذا تعني؟»

«إنها تريد ماكس ثورنتون».

أغمضت تينا عينيها وقالت عاجزة أن ترى الحقيقة:

«آه، لا. إني لا أصدقك».

لكن ما قاله بيار كان حقيقة واضحة. شعرت تينا بعبء ضخم وقد أزيح عن كتفيها. هكذا إذن؟ هل يعرف ماكس ذلك؟ هل يحب كورين،

وهل يريدها... وفجأة قالت لبيار في غضب:
«أتحاول استمالتي كي تغار كورين مني؟»
«ولم لا. ستلاحظ ذلك، إنها ليست المرأة الوحيدة التي أفكر فيها. وأنت يا حبيبتي، لن تجدي بذلك فائدة لنفسك؟»
«ماذا تقصد؟»
«آه، يا فتاتي الصغيرة، إن حبك لماكس واضح وجليّ».
«ماذا تعني؟ ... كيف عرفت؟ لا تكن تافهاً. ماكس وأنا صديقان فقط».
ابتسم بيار ساخراً وجذبها نحوه وقال:
«أنا أعرف كل شيء يا حبيبتي، إنها غلطتك».
«ماذا؟»
«هذا ظاهر على وجهك. ما أن ألفظ أسم ماكس على لساني حتى تلمع عيناك».
تقلصت تينا وغرزت أظافرها في راحة يدها. هل من السهل قراءة أفكارها؟
«أنت تقولين أي شيء!»
«لا أعتقد أن ذلك صحيح».
«وهذا الأمر يقلقك. لا تخافي، ستنسيه بسهولة وفي سرعة».
قالت في حزن وهدوء:
«ليس عندي ما أنساه».
«حسناً إذن، ردّي على سؤالي».
«آسفة يا بيار، لا أريد الزواج منك».
«كنت تحبينني، وأنا مستعد لأن أسعدك من جديد. إن المرأة ترغب في أن تقع في الحب وأن تجد من يحبها. أنت تعرفين ذلك أكثر مني».
انحنى ليعانقها، وشعرت تينا بلهاث بيار يدفىء خديها، فاستسلمت لأغرائه. إنه يحبها وهي لا تعرف ما إذا كانت قادرة على العيش مع ماكس.
أطلق بيار صرخة انتصار وضم تينا إليه، فاغمضت عينيها، متخيلة ماكس ثورنتون يعانقها وينحني فوقها. لكنها أدركت الواقع فانتفضت

وتخلصت من قبضة بيار ونظرت إليه وقالت:
«لا يا بيار، هذا مستحيل».

وقبل أن يتسنى له الكلام، استدارت وهربت نحو الفندق، وهي على وشك البكاء.

في غرفتها هدأ توترها. شعرت بالذنب تجاه بيار. ربما ظن أنها ستتغير وستحاول أن تحبه من جديد. تمددت في السرير واجهشت بالبكاء. إنها تحب رجلاً وتجد نفسها في أحضان رجل آخر..

وفي تلك الليلة لم يغمض لها جفن. ونهضت في الصباح منهكة وكئيبة، عاجزة عن تحمّل الصدمة الجديدة: جدّاها في طريقهما إلى تاهيتي بعدما غادرا انكلترا.

٨ ـ العائد

في الصباح، لم تكن تينا تتخيّل وصول جدها. تذكرت سهرتها الفاشلة مع بيار. لكنها كانت تنتظر عودة ماكس.

من الحماقة الايمان بامكان حدوث هذا الحب. لو كان يحبها بالفعل لحدد لها موعد عودته. وقالت في نفسها: «آه كيف يمكنني أن أمنع قلبي من السقوط في غرام هذا الرجل!».

لم تشاهد بيار على مائدة الفطور، وكانت فاي منهمكة في الامور العادية، فلم يلاحظ أحد ملامح تينا المتوترة. بدأت تعمل في مكتب الاستقبال، وبينما كانت تهتم بسائح عجوز، دخل بيار وحيّاها في برود وتابع طريقه إلى مكتب بول. وبعد فترة قصيرة جاءت روزا وبدأت تتحدث مع تينا عن الثياب التي ترتديها الحوامل وقالت:

«لا أريد أن أفكر بالأمر... بعد ثلاثة أشهر»

قالت فاي في استغراب وهي تقترب منها:

«بعد ثلاثة أشهر... وبعد ذلك، عليك الاهتمام بصحتك ومراقبة وزنك لتظلي محتفظة برشاقتك».

«آه كم اتمنى أن أنام على بطني بعد الولادة».

وصل ساعي البريد فلحقت به فاي و روزا وبقيت تينا وحدها تفكر بهذه الحياة الرائعة وبالولادة. وتصوّرت نفسها حاملاً من ماكس ثم أماً لطفل جميل!...

احمرت خجلاً. عادت فاي فابتسمت تينا لها لتخفي انفعالها. لكن فاي ظلت مسمّرة أمامها وقالت:

«أعدّي نفسك للصدمة. لقد وصلا أمس».

«من؟ ماذا؟»

حدقت تينا بالظرف.

«حاولا المجيء إلى هنا مساء أمس، لكنهما عدلا عن ذلك لأن السيدة كينغهان كانت متعبة للغاية جدتك تريد أن تراك في أسرع وقت ممكن».

إنها رسالة العمة ويني. جدّاها في تاهيتي، على بعد بضعة أميال من هنا. لم تكن تصدق ذلك.

«نعم، يا تينا، يجب ألاّ تبقي هنا، عليك الذهاب في الحال. سأبحث عن بول...»

وفي لمحة بصر، نصحت تينا أن ترتدي بزة أنيقة واقترحت على بول أن يرافقها. وقالت:

«سنرتب الأمر بطريقة أو أخرى. لا تضطربي كل شيء سيتم على أكمل وجه. بعد ساعة ستندمين على غضبك».

تأملت تينا السفينة وهي تمخر عباب البحر اللامع. ومن جديد بدأت الأفكار السوداء تراودها، واحتلها الخوف. ماذا سيكون ردة فعلها؟ لقد مرّ وقت طويل بعد المشاجرة الماضية.

شعرت وكأنها وقعت في الفخ. منذ زمان وهما يريدانها لهما، منذ ولادتها. رفضت

الوالدة أن تعيش في انكلترا ووضعت تينا في الجزر. ولما أصبحت في الخامسة كانا يريدان للفتاة الدراسة الانكليزية. ومرة أخرى رفضت ليزا ريمون العودة. كانت تعتبر أن تاهيتي هي مكان استقرارها... ولما حملت ابنتها من جديد كانا ينتظران الولادة ليجددا عرضهما، وفي هذه المرة، اعتبرا جان ريمون مسؤولاً عن المأساة.

كانت تينا ترتجف وتنظر إلى بيار الذي أصرّ على مرافقتها، فأدار وجهه عنها بابتسامة ساخرة وقال:

«هكذا إذن، ستغادرييننا؟»

أجابت وهي تتأمل ساحل تاهيتي البعيد:

«لا أعرف، لو لم يأتيا...»

هز بيار كتفيه وظل صامتاً برهة ثم قال في هدوء:

«إنني أؤيد رأي فاي، ربما كان ذهابك أفضل».

«لماذا»

«هكذا، يتسنى لك اتخاذ القرار النهائي».

«القرار ... مع غريبين؟ إنني لا أعرفهما، هل تفهم ذلك؟»

«أدرك جيداً يا حبيبتي، إنك تحاولين تجنب إيذائهما. لكن أنا...»

عضت على شفتيها. هل ان رفضها يؤثر عليه جدياً؟ أرادت أن تلين لكنها كبتت انفعالها. لن تعود إلى الوراء. لكنه بدا وكأنه عرف ما يدور في خلدها، إذ سألها:

«هل تريدين أن أرافقك؟»

كانت تفضل أن تكون وحدها، لكنها فجأة غيرّت رأيها فأجابت:

«نعم يا بيار، أريدك أن ترافقني إذا لم يكن عندك أي مانع».

رمقته بنظرة مشبعة بالحنان. فضحك ساخراً وقال:

«تريدين مساعدتي، وإنني مستعد إذا كنت في حاجة إلي».

ألقت إليه نظرة سريعة ولاحظت كم تغيرّ منذ عودته إلى الجزر. لم يعد ذلك الانسان المتعجرف والاناني، فقد نضج، وابتسم لها فشعرت بانجذاب إليه. واعتذرت لما حدث يوم أمس وفضلت ألا تواصل النقاش. قال بيار:

«يمكننا معاً أن نتعاون من أجل أن ننسى كل شيء».

النسيان! ماذا يقصد! حاولت أن تبدو مرحة وقالت:

«لنعالج أولاً مشكلة الساعة».

صعدا في سيارة تكسي وتوجها إلى الفندق. همس بيار قائلاً:

«كيف يا ترى تبدو جدتك».

أمضت تينا ساعات طويلة وهي تتخيّل جدتها. هناك صورة واحدة لها في صندوق والدتها. أما جدها فيبدو بملامح الرجل العسكري. الجدة طويلة القامة، وعلى أبواب الخمسين. يعود عمر هذه الصورة إلى عشرين سنة مضت.

تقدمت امرأة طويلة ذات ملامح ارستقراطية نحو تينا رافعة يديها الطويلتين. كانت ترتدي فستاناً كلاسيكياً ازرق ذا أناقة رفيعة، شعرها رمادي لماع، وبشرتها بيضاء كالخزف، وعيناها بلون سماء انكلترا. اقتربت من تينا وضغطت بيد مرتجفة على أصابع حفيدتها الطرية. كانت تينا ترتجف أيضاً، مترددة في طبع قبلة على وجنة هذه المرأة.

اقترب جدها منها وقال:

«إنني لا أصدق ما أراه، بعد هذه السنوات الطويلة».

قبّلها وأمسك بيدها وراح يتأملها ثم قال:

«إنها تشبه ليزا نفسها! أليس هذا صحيحاً يا حبيبتي؟»

فوجئت اليزابيت كينغهان بهذه الملاحظة بيديها زوجها وهمست بكلمات لم تكن مسموعة.

بقيت تينا صامتة وتقلصت حنجرتها. كانت تدرك أن عليها التصرف في تهذيب، كانت متأثرة وقلبها ينبض بسرعة. وضعت ذراعيها حول عنق جدتها وطبعت قبلة على خدها وقالت:

«جئتما من مسافة بعيدة خصيصاً من أجلي، لا شك أنكما متعبان».

طوقت الجدة بذراعيها خصر تينا النحيف كأنها ستحملها واغرورقت عيناها بالدموع.

قال السيد كينغهان في لهجة خشنة:

«لقد مضى زمن طويل».

اقترح بيار، الذي كان ما يزال في الظل، أن يتناول الجميع شراباً. تطلّع إليه السيد كينغهان باستغراب. فتنبهت تينا وتولت تقديمه إليهما، وقد احمّرت وجنتاها من الاضطراب.

قال بيار:

«عرضت الزواج على ابنتكما الصغيرة مساء أمس».

قالت الجدة مستغربة ومضطربة:

«آه، لا! ليس هذا هو الوقت المناسب، إضافة إلى أن تينا ما زالت صغيرة لتفكر في الزواج».

«لم تعطيني جوابها بعد. إلا إذا كانت تريد الذهاب معكما إلى انكلترا».

كان يتكلم في هدوء وثقة. لجمت تينا أعصابها: من أين له الحق أن يتكلم في هذه الأمور وبهذه الطريقة؟ قالت تينا:

«بيار، هنالك أمور كثيرة أريد أن أناقشها مع جديّ. دعنا وشأننا أرجوك».

ابتسم بيار ثم انحنى وقال:

«أعرف ذلك يا حبيبتي، لكن لماذا اخفاء الحقائق. من الأفضل قولها مباشرة لجديك».

احتسى شرابه ونهض قائلاً:

«اودعكم الآن. متى تريدين يا تينا أن أعود لأصطحبك؟»

قالت السيدة كينغهان في استغراب:

«لا أظنك ستعودين إلى تلك الجزيرة القاحلة. أنت لا تسكنين هناك أليس كذلك؟»

«بلى، إني أعمل عند فاي في الوقت الحاضر. لقد شرحت لك الوضع في رسالتي الأخيرة».

«هذا صحيح. إنني أشكر فاي على لطفها، لكن من الآن فصاعداً أرجو أن تكوني معنا، فنحن لم نقطع كل هذه المسافة من أجل لا شيء».

عضت تينا على شفتيها، وغضب بيار وأضافت الجدة تقول:

«إذا لم يكن ثمة مانع فإن تينا ستبقى معنا بعض الوقت».

نهض السيد كينغهان ـ وقال، وهو يتجه إلى مكتب الاستقبال التابع للفندق:

«سأهتم بالامر وسيتفهم أصدقاؤك الوضع، أنا متأكد من ذلك».

قال بيار وهو يستأذن بالذهاب:

«فليكن ما تريدان...»

وبدا بيار وكأنه يقول لتينا: «لقد حاولت انقاذك».

سألت الجدة:

«هل الأمر بينك وبين بيار جدي؟»

ترددت تينا، فما يزال الوقت باكراً للبوح بالاسرار. وقالت:

«إنه صديق، لكنني لا أثق فيه تماماً».

«انك فتاة عاقلة. أمامك الوقت الكافي لتفكري في الزواج. تبقى هناك قضايا كثيرة ينبغي معالجتها، وسنقدم لك كل مساعدة ممكنة».

«لقد قطعتما مسافة طويلة من أجل أن ترياني، وإني متأثرة جداً، لكنني أرجو ألا تدللاني كثيراً».

«ولم لا يا ابنتي؟ نحن هنا من أجل ذلك».

«أعرف ذلك، لكنني لا أريد أن أخيّب آمالكما».

«لا تقلقي يا حبيبتي، نحن نعرف جيداً ما يزعجك. لكننا كنا في شوق لرؤيتك. لا نريد أن نقتلعك على الفور من الأرض التي ولدت وترعرعت فيها، ومن أصدقائك. أنت ابنتنا الوحيدة ونحن نرغب في الاهتمام بك، لذلك قررنا الحضور».

همست تينا في حزن:

«أعرف ذلك جيداً».

ابتسمت جدتها وقالت:

«لننس كل هذا. اخبريني قليلاً عن حياتك».

همس السيد كينغهان:

«هناك ١٨ سنة من الفراق ونحن نريد أن نعوضها».

قالت السيدة كينغهان :

«وهناك أمور كثيرة نريد اكتشافها هنا. أنت لا تعرفين انكلترا ونحن لا نعرف تاهيتي».

لكنها لم تتمكن من اخفاء السبب الحقيقي الذي من أجله قامت بهذه الزيارة. ابتسمت تينا على مضض. إذا رفضت أن تذهب معها إلى انكلترا، فلن

تتحمل الجدة هذه الصدمة.

لكن مع مرور الوقت لم تعد تينا تتحمل البقاء غير مبالية. كانت تشعر بعاطفة قوية نحو جديها. أدركت أنهما صادقان. وأنهما يفعلان كل هذا من أجل سعادتها.

حمل جداها معهما صوراً عديدة ظهر فيها قصرهما الذي تبدل في شكل جذري... لم يعد ذلك المسكن الجميل والدافىء والمحاط بأجمل الحدائق. مجرّد أسم على ورق. انهما يحبان قصرهما وكلابهما الظاهرة في كل صورة.

قالت الجدة:

«هذا الكلب الصغير الظاهر في الصورة ولد حديثاً ولم نقع له على اسم بعد. ستطلق عليه تينا الأسم الذي تريد».

قالت تينا:

«ألا تنويان بيعه أو اعداده للأشتراك في سباق الكلاب؟»

قال الجد:

«سيكون لك».

هنا أدركت تينا أنها لم تعد قادرة على التراجع عن موقفها. ستذهب معهما بكل تأكيد. إنهما هنا الآن لمدة ستة أيام فقط. وهما يرغبان قبل أي شيء آخر، في زيارة هذا المكان الرائع.

أعدت تينا برنامجاً للرحلات واصطحبتهما إلى كل زوايا الجزيرة. وهكذا كانت تأمل في الا يتكلما كثيراً عنها وعن مستقبلها. كما دعاهما بول و فاي إلى كالوها وأمضيا يوماً كاملاً مع العمة وبني.

ومساء الجمعة كان الفندق قد أقام سهرة راقصة من الفولكلور التاهيتي وقد ابتهج الجميع بها بينما كانت تينا حزينة لا تفكر الا بماكس ثورنتون الذي لا بدّ

وأن يكون قد عاد من رحلته.

في اليوم التالي، بالكاد تمكنت تينا من اخفاء اضطرابها عندما جاء بول لاصطحابها إلى كالوها. لم تكن ترغب الا في أمر واحد وهو معرفة أخبار ماكس، لكنها فضلت الانتظار حتى تكون وحدها مع فاي.

كان بيار غائباً عندما وصلوا، فأحست تينا بارتياح لذلك وبشعور بالذنب.

لكنها ظلت قلقة: كيف تستطيع أن تجتاز هذه المرحلة وتقدم على مغامرة الغوص في حياة جديدة؟ هل تستطيع أن تهجر كل شيء أحبته هنا؟ لكن هذه الخطوة قد تكون في مصلحتها وربما ساعدتها الحياة الجديدة على تعويض خسارة والدها.

على مائدة الغداء كانت تينا مضطربة. لاحظت نظرات فاي الجالسة في الطرف الآخر من المائدة. فجأة استغلت فرصة عدم انتباه المدعوين، ونهضت فسألتها فاي بصوت منخفض:

«هل رأيت ماكس؟»

أجابت تينا في دهشة:

«كنت أود أن أطرح هذا السؤال عليك، هل عاد من رحلته؟»

«نعم، لكنني لم أكن أريد أن أخبرك بذلك أمام الآخرين. إذن فأنت لا تعلمين؟»

«ماذا؟ ماذا جرى؟»

«لا شيء. لا أعرف ما سأقوله لك. الجميع يتحدثون عن الموضوع، ألم تسمعي الأقاويل؟»

«أية أقاويل؟ أرجوك فاي أخبريني».

«عاد ماكس الثلاثاء الماضي ومعه فتاة».

«فتاة؟ من هي؟»

«فتاة من الجزر تدعى تياري، إنها صغيرة السن، في الخامسة عشرة، وجميلة جداً، وما من أحد يعرف من أين جاءت».

سقطت تينا في المقعد عاجزة عن تصديق مثل هذا الخبر. هزت فاي رأسها وقالت:

«أخشى أن تستقرّ هنا»

«لكن لماذا؟ لماذا؟»

«لا أحد يعرف السبب. كورين نفسها كادت تختنق عندما سمعت الخبر».

كانت تينا تهز رأسها كأنها ترفض التصديق أو قبول الواقع:

«وماذا عن السيد لاتور؟»

«إنه في فترة نقاهة. وهو لا يعلم بوجود تياري. إنه في منزل سيسيل».

«آه إنها تعرفه منذ سنوات عديدة».

«الأقاويل كثيرة، لكنني لم أسمع أحداً يتحدث عن قصة حب بينهما. في أي حال ليس في امكان العجوز هنري أن يهتم وحده بالمزرعة. إنه يخضع لعلاج دقيق و سيسيل سعيدة بالاشراف عليه».

ظلت تينا جامدة لا تصدق، فقالت لها فاي:

«إنني آسفة يا عزيزتي».

نهضت تينا فجأة وسألت فاي:

«هل في امكانك أن تبقي مع جديّ بعض الوقت؟»

«نعم.لماذا؟»

«يجب أن أراه، يجب أن أعرف ماذا يجري هناك».

حاولت فاي أن تخفي حزنها وقالت:.

«لا تقلقي، سأجد لك عذراً وأدّعي أنك صعدت إلى غرفتك. اخرجي من الباب الخلفي»

ذهبت تينا كالسهم وسلكت طريق المزروعات بدل الشاطىء كي لا يراها أحد. لم تكن تفكر إلاّ في ماكس، ولم تكن تصدق أن ماكس أحضر معه فتاة إلى كالوها. هذا أمر غير معقول، لا يمكن أن تكون عشيقته... لا! لا!

احتلها القلق. بعد المفرق أبصرت الفيللا وبدأ قلبها يدق بسرعة. توقفت أمام الباب الحديدي جامدة: لم يتبدل شيء، شاهدت الشرفة والوسائد البيضاء على الأريكة والسلالم التي تصل إلى البحر، وتخيلت ماكس عندما حملها بين ذراعيه وقال: «أنت ما تزالين صغيرة لتقعي في الحب».

فتحت الباب الحديدي ودخلت إلى المنزل من الشرفة... لا أحد. توقفت من جديد.

البحيرة تلمع هادئة شفافة تحيط بها أشجار جوز الهند والرمال الصفراء. كم من قصص ومآس انعكست على هذه المياه!

وفجأة شاهدت شبحاً يسبح، فهبطت على السلالم وسمعت لحناً موسيقياً وشاهدت على الشاطىء منشفة حمام برتقالية اللون ونظارتين وقنينة زيت وآلة تسجيل تخرج منها الموسيقى.

شاهدت الفتاة الصغيرة تينا فخرجت من الماء ونفضت شعرها. وراحتا تتبادلان النظرات. شعرت تينا بقشعريرة في ظهرها، إن تياري رائعة الجمال، بشرتها كالحرير، وجسمها الجميل يظهر قامتها اللطيفة وعيناها المخمليتان تحدقان في الشاطىء.

لم تبتسم ولم ترحب بتينا. ظلت جامدة تتأمل الزائرة الجديدة ثم سألتها:
«من أنت؟»

«جئت لأرى ماكس».

«ولماذا تريدين رؤية ماكس؟»

«إنه صديق عزيز».

«آه، لم يحدثني عنك أبداً».

«أنت لا تعرفين اسمي فكيف يمكنك أن تعرفي أن السيد ثورنتون لم يكلمك عني، ثم ان هذا لا يعنيك!»

انحنت تياري وتناولت منشفة الحمام وألقت إلى تينا نظرة ساخرة وابتسامة مشمئزة، ثم هزت شعرها الطويل الذي تطايرت منه قطرات الماء وقطفت زراً من الورد ووضعته خلف أذنيها، ثم رفعت رأسها نحو المنزل.

وفي انفعال رفعت تينا بدورها عينيها نحو المنزل وشاهدت ماكس متمسكاً بدرابزين الشرفة.

نادى فصعدت تياري السلالم بسرعة. كانت تسرع نحو الرجل الذي أمسك بذراعيها واختفت معه في ضباب دموع تينا.

لم تكن قادرة على تحمل ما تراه، فاسرعت إلى الشاطىء وهي تبكي وتئن من ألم لم تكن قادرة على ضبطه:

قالت تياري لماكس في عنف وانتصار:

«يا ماكس، أنت ملكي!»

لم تعرف تينا كيف عادت إلى الفندق. أمضت نهاية الأسبوع في ذهول وضياع. كانت تتحاشى نظرات فاي وترفض لقاء أي انسان وتبقى وحدها معه. للمرة الاولى لم تكن نادمة على هجر كالوها. ولما عادت مع جديها إلى تاهيتي، تذرعت بالصداع وآوت إلى الفراش. ولما أصبحت وحدها في الغرفة، راحت تنغمس في خيبة الأمل وبذكرى شبح ماكس و تياري المتلاصقين. وراحت تردد في

صوت عال:

«آه يا ماكس... لماذا... لماذا؟»

لو لم تذهب إلى الشاطىء! لكنها رأت كل شيء ولم يبق أمامها سوى النحيب والتحسر على هذا الحب المستحيل.

في اليوم التالي، نزلت لتتناول فطور الصباح. فنظرت إليها اليزابيت كينغهان في قلق وقالت:

«لا تبدين في صحة جيدة!»

«إني على ما يرام».

«لا، يا ابنتي. هل يجب احضار الطبيب؟»

تنهدت تينا. ماذا يفعل الطبيب لشفائها من هذا الألم؟ هزت رأسها وتسلحت بالشجاعة وقالت:

«إلى أين تفضلان الذهاب اليوم؟»

قال السيد كينغهان في صوت فظ:

«لم يتسن لنا فرصة التفرّج على رسوم والدك. ثم إننا نريد أن نتنزه في المدينة».

أضافت السيدة كينغهان في حنان:

«إذا كان هذا لا يؤلمك يا حبيبتي».

أومأت تينا برأسها سلباً. يجب أن يتم ذلك في يوم من الأيام.

في الصباح توجهوا إلى المحترف المهجور. كان هناك مكان لكل لوحة على حدة، لكن أجملها كانت موضوعة في البيت.

«احتفظت بأجمل لوحاته في المنزل. لا أريد بيعها».

«طبعاً!»

كان جدها يتأمل لوحة مرسومة بالزيت.

«رائع! هل هذا المحترف ملكه؟»

«نعم».

«والمنزل؟»

«نعم».

وما أن خرجوا إلى الشمس حتى عاد السيد كينغهان يقول:

«وماذا قررت في هذا الشأن؟»

«لم أقرر شيئاً».

فضلت النظر بعيداً. إنها تعرف ماذا ينتظران منها، لكن دورها صعب. كيف بامكانها هجر كل ما هو عزيز على والدها؟

تقلّصت شفتاها. لم يعد هناك أيّ أمل. تقدمت خطوة وشعرت بيد تمسك بكتفها. همست السيدة كينغهان قائلة:

«لا تهتمي بما يقوله، يا حبيبتي. لا يعرف الرجال شيئاً. كل شيء يبدو سهلاً لهم. إنه يريد مساعدتك. ماذا في امكاننا فعله؟».

تلعثمت تينا:

«إنني... إنني...»

«ألا تغلقين الباب؟»

كانت قد تركت الباب مفتوحاً والمفاتيح في يدها. بدأت الدموع تنهمر من عينيها ولم تكن قادرة على اقفال الباب فأمسك الجدّ يدها وقال في لطف:

«إن اليزابيث على حق، دعينا نهتم بهذه الأمور، يا حبيبتي».

ولما لا. لم تعد تينا تقوى على تحمل المزيد من العذاب. تركت نفسها تسقط بين ذراعي السيدة كينغهان المفتوحتين.

«نعم يا ابنتي، حان وقت العودة...»

كل شيء تم تصميمه في وقت قصير. وعندما غادر آل كينغهان مدينة تاهيتي، رافقتهما تينا. ربما في عطلة طويلة فقط لكن بالنسبة اليها، ليس سفرها مجرد رحلة قصيرة.

واجهت تينا بعض المصاعب قبل الحصول على جواز سفر، إذ أنها ولدت في أرض فرنسية، من والدين انكليزيين.

قال لها كينغهان ساخراً وهو يتناول من يدها وثيقة الولادة واخراج القيد العائلي:

«لا نريد أن تأتي إلى انكلترا مثل انسانة غريبة!»

لم يعد أيّ شيء يؤثر فيها. فالطائرة أقلعت منذ لحظة من مدرج فايا، مطار تاهيتي.

قبل سفرها بقليل اشترت لها جدتها حقائب تتلاءم معملابسهاالزرقاء الجديدة. وتناولوا طعام العشاء برفقة فاي و بول و بيار الذين جاءوا خصيصاً من كالوها لتوديعها.

لم تتأسف تينا لوداع هذه الجزيرة العزيزة على قلبها والتي أصبحت من الآن وصاعداً مقبرة حبها...

ومن نافذة الطائرة، كانت ترى الأضواء تلمع. فاحتلها الأضطراب. إنها في الطريق إلى منزلها الجديد، ولكن، ماذا سيحدث إذا لم تستطع أن تحب انكلترا. وإذا لم تعد إلى تاهيتي أبداً. هل في امكانها أن تنسى، وهي وسط غرباء.

ولما حل الليل، أطفئت الأنوار داخل الطائرة واستعد الركاب للنوم قبل الهبوط في أكابولكو. لكن تينا لم تنم، كانت وكأنها سارحة في اللاواقع، وتوقفت الطائرة في أكابولكو، ومكسيكو، وناصو، وبرمودا...

لم تجرؤ على النزول في كل هذه المطارات. قال لها جدها:

«لم يعد أمامنا إلاّ ساعة واحدة ونصل إلى لندن».

وفي مطار لندن، شعرت تينا بأنها اقتلعت من أرضها إلى الأبد. لم يعد في امكانها الرجوع إلى الوراء. تبعت الناس، وسط ضجيج وضوضاء إلى سيارة الليموزين حيث كان السائق في انتظارهم. وخلال الطريق خيّل إليها أنها تعرف... بلد والدتها.

المنزل كان كالذي شاهدته في الصور. ممرّ طويل تحيط به الأشجار الخضراء يطلّ على الحدائق المزروعة بكل أنواع الأزهار. أسرعت الكلاب وهي تعوي وتقدمت من كل واحد ولحست أيديهم. هذه هي تحية الكلاب لأصحابها. أما الحارسة، وهي امرأة ضخمة في الخمسين من عمرها فاستقبلتهم بالترحاب وهي تحني رأسها الرمادي وقالت:

«العشاء سيكون جاهزاً في الثامنة».

تسنّى لتينا اكتشاف البهو الكبير ذي البلاط الخشبي الملمع والجدران المليئة باللوحات. وفي إحدى الزوايا مدفأة قديمة مبنية على حائط بكامله. ثم قادتها جدتها إلى غرفتها التي كانت واسعة ومضيئة. إنها غرفتها إلى الأبد؟

لن تتعود تينا على هذه الحياة الجديدة، برغم عزمها على أن تنسى كل شيء. لكن في كل ليلة كانت تتذكر أموراً كثيرة حدثت لها في الماضي. ووحدها في سريرها ذي الأغطية الحريرية الوردية، كانت تينا ترى باستمرار في أعماق مخيلتها شبح ماكس وعينيه الرماديتين وفمه الحنون والساخر معاً... وظله الذي غطاها في ليلة ماراي.

وتياري...

أين ماكس في الوقت الحاضر؟ هل يعيش مع تياري؟ تقلبت تينا في سريرها وغرزت أنفها في الوسادة الناعمة. هل أصبحت مجنونة لتذوق هذا

العذاب؟ كانت تنتظر رسالة من فاي بفارغ الصبر.

وصلت الرسالة المنتظرة، لكنها خيّبت أمل تينا: «الأخبار قليلة. لست أملك موهبة والدتي لأكتب لك كلمات تختص بأي شيء. نحن هنا جميعاً نفكر فيك. أنت لا شك تعانين من هذه الغربة، لكن عليك أن تعتادي حياتك الجديدة وهذه السطور القليلة تساعدك على ذلك».

ولا كلمة عن ماكس! كانت جدتها تراقبها في حزن، فسألتها:

«هل هذه الرسالة من الشاب الفرنسي؟»

وشعرت بارتياح عندما كان جواب تينا سلبياً.

وفي هذا الصباح أخذت تينا أول درس في ركوب الخيل. ثم تناولت طعام الغداء مع جدتها عند عائلة غرانج.

«لديهم ابنة في سنك وستقدمك إلى أصدقائها».

كل شيء يبدو سهلاً إذا تمكنت من نسيان الماضي! بعد ثلاثة أشهر، ربما لن تعود في رغبة بالعودة...

لكن، يوماً بعد يوم كانت تنتظر ساعي البريد وكانت تتسلم رسائل حميمة وحارة من العمة ويني.

في إحدى رسائلها قالت فاي: «آمل أن تكوني قد نسيت ماكس ثورنتون. لم تذهب، للأسف. تريد في استمرار أن تذهب إلى بابيت، كما أنها تحاول مغازلة بيار. و بيار تشاجر مع كورين. إن سيسيل والسيد لاتور سيتزوجان يوم وصول الكسيس...»

وقفت تينا في حزن وهمست: «... آه ماكس...». ولم تضف شيئاً وقررت ألا تفكر فيه بعد الآن. لا شك أن ماكس نسيها!

بدأت تينا تتعود على حياتها اليومية... تلعب أحياناً مع الكلاب التي تعثر

عليها أينما ذهبت، داخل البيت أو خارجه. تسمع شجار الخادمة والبستاني الذي يغازلها كلما رآها. أحياناً تخبرها الخادمة عن طفولة والدتها. وبدأ المنزل يصبح جزءاً من حياتها.

سمح لها جدها أن تتعلم قيادة السيارة. وكذلك كانت ترافق جديها إلى لندن للتسوق ويقضون السهرات في حضور الحفلات الموسيقية، أو المسرحيات. لم يكن ينقص تينا أيّ نشاط ترغب في القيام به.

وذات صباح وصلتها رسالة غير منتظرة. كتب لها بيار يستفسر عن صحتها: « إننا نشعر بالملل هنا في كالوها. الجميع غادروا المكان.وسيدنا سافر إلى مكان مجهول. بعد الفضيحة! ... ومدينة بابيت لا تتحدث إلاّ عن ذلك. لا شك أن فاي أخبرتك جميع التفاصيل في اسلوبها الأنثوي. واليوم، يا حبيبتي، أجد نفسي وحيداً لأواسي الشقراء كورين. في انتظار ردك...».

بدأت يداها ترتجفان. أي فضيحة؟ ماذا جرى؟ لماذا رحل ماكس؟ وماذا يعني «لأواسي كورين؟».

أصابها غثيان ورفضت أن تأكل بيضتها اليومية التي وضعتها الجدة في صحنها في فطور الصباح العادي.

«إنك لا تأكلين بما فيه الكفاية، يا تينا!»

فجأة ظهر خادم على عتبة الباب وقال للسيد كينغهان.

«هناك مكالمة لك على الهاتف».

«الآن، في مثل هذه الساعة المبكرة؟»

مسح فمه وأسرع إلى مكتبه. ثم عاد وتكلم مع زوجته في انفعال، ولم تكن تينا تنتبه لما حدث، كانت تفكر في رسالة بيار.

في بداية السهرة، لاحظت وجه جدتها المتأثر وغياب جدها، فاستغربت وسألت

مستفسرة:

«لم يسبق لجدي أن تأخر. هل هناك ما يزعج؟»

ترددت السيدة كينغهان ثم هزت رأسها سلبياً:

«كلا، لا تقلقي... يا لهذا الصداع!»

طبعاً كانت تكذب. إن حب تينا لجدتها يزداد يوماً بعد يوم، فلم تصرّ على معرفة المزيد.

وبعد العشاء جلستا أمام شاشة التلفزيون، ثم أحضرت تينا الشاي وازداد قلقها لتأخر جدها. هل وقع حادث ما؟

أرادت تينا انتظاره، لكن جدتها طلبت منها في الحاح أن تذهب إلى فراشها. فتركت جدتها وحدها في الصالون. وحوال منتصف الليل، توقفت سيارة في الحديقة. لم تجرؤ تينا على النزول. سمعت أصواتاً وشاهدت الأنوار تضاء ثم ما لبث أن دخل جداها إلى غرفتهما.

ماذا يجري؟

في الصباح كان الجو متوتراً. لم تنم تينا كفاية. ولم تسمع أيّ تعليق حول احداث الليلة الماضية. كانت السيدة كينغهان تراقب كل حركة تقوم بها.

أعلن السيد كينغهان وهو يقرأ جريدة الصباح بدلاً من أن يعطيها لزوجته كعادته كل يوم:

«لا ركوب خيل اليوم».

قالت السيدة كينغهان لتينا:

«هل يمكنك أن تتدبري أمورك وحدك يا حبيبتي؟ إنني أستقبل اليوم نساء الصليب الأحمر».

كانت السيدة كينغهان عضواً في عدة جمعيات خيرية واجتماعية ودينية.

وصلت النساء في العاشرة. فذهبت تينا إلى الأسطبل حيث داعبت اثنى الخيل وفلوها. لكنها شعرت بالبرد ينخر ضلوعها، فدخلت إلى المطبخ وتناولت فنجان شاي وإذا بالحارسة تدخل وتقول:

«آه، وجدتك أخيراً. بحثت عليك في كل مكان. إنه ينتظرك في غرفة المكتبة. إنه رجل».

«من؟»

«لم يقل اسمه. هيّا، اذهبي، سيحين وقت الغداء».

أسرعت تينا إلى الممشى. من يأتي لزيارتها هنا؟ دخلت إلى المكتبة...

كان الرجل واقفاً أمام المدفأة واضعاً يده على طاولة صغيرة، يتأمل إحدى اللوحات.

قطبت تينا حاجبيها وحبست صرخة هلعٍ عندما استدار الرجل وأصبح في مواجهتها. قال:

«مرحباً، يا تينا!»

لم تصدق عينيها. همست:

«... أنت ماكس؟ هل أنا في حلم؟»

«لا، ليس حلماً».

كان يتكلم كأن شيئاً لم يكن. أرادت أن ترتمي بين ذراعيه، وتلمسه وتداعبه وتضمه إلى صدرها، لكنها كبتت رغبتها وجنونها. كانت تخشى أن تراه يختفي!

«متى وصلت؟ لم أكن أتصور أبداً...»

«وصلت البارحة للقيام بتسوية بعض القضايا والأعمال العالقة».

لم تفهم. كان يبدو غريباً في بزته القاتمة وربطة عنقه السوداء. سيتكلّم عن الشتاء والطقس الجميل والتفاهات الأخرى، كانت متأكدة من ذلك. كانت ترى

عينيه الرماديتين وخديه الورديين وشفتيه المرسومتين تماماً. ستتذكره هكذا ما دامت على قيد الحياة.

«لقد جئت لأفي بوعده».

«وعد؟»

«نعم وعدي في أن آتي لأطمئن إلى حالتك».

«إنني جيدة... هذا لطف منك أن تتذكر».

كان ماكس ثورنتون يتأمل الأثاث الفخم. ثم قال:

«لست تعانين من أي مشكلة مادية، على ما أظن».

«تينا».

دخلت الجدة في عنف وأضافت:

«هل يكون لي الشرف في التعرف الى هذا الرجل».

كانت عيناها الزرقاوان تحدقان فيهما بغضب.

فوجئت تينا وقدمت إليها ماكس ثورنتون. فقالت السيدة كينغهان بلطف هذه المرة.

«لم تخبرني تينا عنك».

«لم تكن على علم بوصولي، يا سيدة».

«هل تبقى على الغداء معنا؟»

«كلا، شكراً جزيلاً. سأتناول الغداء في المدينة».

ثم التفت إلى تينا وقال:

«أنا سعيد أن أراك في صحة جيدة. هل تودين أن تبعثي برسائل إلى أصدقائك؟»

هزت تينا رأسها. بعد ثوان قليلة سيختفي وسيعود القلق والحزن إليها من جديد.

وبينما كان يضع يده على قبضة الباب أضاف:

«إلى اللقاء يا سيدة كينغهان. تينا.إنني في فندق وايت حتى يوم الجمعة. إذا كنت في حاجة إلى أي شيء...»

توقف لحظة ثم أضاف:

«على فكرة، ألم يخبروك».

«ماذا».

«لقد عثروا على والدك!»

٩ ـ ماريون

«والدي!»

اقترب ماكس منها ليسندها. أمسكها من كتفيها وساعدها للتمـدد على الأريكة.

والدها! نظرت إلى ماكس، كالبلهاء. هل هذا معقول؟ احتلها القلـق. هل يعني...

فهم ماكس تعبير وجهها المعذب فقال:

«لا، لم يمت. كان عليّ أن أطلعك على الخبر بطريقة أخرى. إنه في صحة جيدة».

«أين والدي؟»

جفّ حلقها. كل شيء يتمايل أمامها. كادت تغيب عن الوعي.

«لا أعرف، يا تينا. لقد سمعت الخبر منذ ثلاثة أيام. لا شك أن التيّار المائي جرفه إلى زورق الانقاذ التابع لليخت. فالتقطه صيادو روا ـ توريا. لاأحد منهم يتكلم اللغة الانكليزية. وفي مثل هذه المناطق، تمرّ السفينة مرّة واحدة كل ستة أشهر. أخيراً أوصلوه إلى رواتو حيث البعثات والمرسلون. تلقى العناية والعلاج. لأنه كان قد فقد ذاكرته ولم يكن يحمل بطاقة هوية. اعتقدوا أنـه هارب، فطببوه قبل أن يعيدوا إليه حريته. لكنهم تذكروا غرق السفينة وتساءلوا

ما إذا كلن هو أحد الذين نجوا من الغرق»

توقف ماكس ثم تابع يقول:

«هناك أحداث أخرى، سيخبرك إياها بنفسه».

كانت تينا تبكي فرحاً وانفعالاً.

«هل هذا صحيح؟ إن والدي حيّ وفي صحة جيدة!»

اكّد لها ماكس في هدوء:

«إنها الحقيقة تماماً».

تمالكت تينا نفسها وجففت دموعها وقالت:

«أريد أن أراه، الآن. سأعود إلى تاهيتي في الحال. إنه لا يعرف أين أنا».

«إنه لا يزال في طريق العودة».

أمسك ماكس بذراعها. فقالت السيدة كينغهان:

«سيصل والدك إلى هنا، في أقرب وقت ممكن».

نسيت تينا وجود جدتها نهائياً. كانت واقفة من دون حراك ولا كلمة. ثم وجهت كلامها إلى جدتها قائلة:

«كنت على علم بذلك!»

«نعم، منذ مساء أمس».

«ولم تقولي شيئاً. كيف تجرؤين أيتها...»

«تينا، هدئي أعصابك. لم نكن نريد أن نخفي عليك شيئاً. والدك سيتصل بك هاتفياً يا حبيبتي. لقد قمنا كل ما في وسعنا. كنا خائفين من أن نرتكب خطأ شنيعاً قبل أن نتأكد من الحقيقة. لقد أمضى جدك النهار كله في وزارة الخارجية ليحصل على المعلومات اللازمة. كنا نريد أن نجنب والدك المضاعفات وأن نعد عودته من دون انفعال وتوتر».

«نعم!»

«إن جدتك على حق يا تينا. يجب أن يعود في هدوء وصفاء».

كانت تينا تعي كل هذه الاجراءات الوقائية، لكنها لم تكن تفهم جديها اللذين تركاها في جهل تام ٢٤ ساعة كاملة ولولا ماكس، لما علمت بالأمر.

تنهدت اليزابيت كينغهان وعادت تبرر موقفها في صوت حاد:

«كنا سنطلعك على الخبر بعد وصول والدك. كنا أردنا التأكد من معلوماتنا. يا حبيبتي».

وافقت تينا. نعم، إذا كان الخبر خاطئاً، وإذا الغريق ليس والدها، ستكون الصدمة أقوى بكثير.

أرادت أن ترقص وتصرخ وتبكي. إن والدها حي يرزق! سيضمها إلى صدره... والعمة ويني و فاي و بول والتوأمين وجميع الأصدقاء، لا شك أنهم في فرح وبهجة...

عادت تينا إلى الواقع. سعيدة جداً لا تبالي بذهاب ماكس. إن التفكير بوالدها يطغى على كل شيء. لا بد وأنه في حال يرثى لها.

أمضت الساعات المقبلة جالسة أمام المدخل في انتظار ساعي البريد أو صوت الهاتف.

عاد جدها ظهراً ومعه أخبار جديدة عن جان ريمون.

«لقد وضعوه في سفينة صغيرة تتجوّل ما بين الجزر، وتقف في كل جزيرة ساعات عديدة قبل أن تنتقل إلى جزيرة أخرى!»

اقترحت السيدة كينغهان في ابتسام حنون:

«لنعد له غرفته».

تمّ تحضير أجمل غرفة في المنزل. تطلّ على الجنائن وتدخلها الشمس من كلّ

الجهات.

وعندما وصلت البرقية الأولى بدأوا يعدّون الشراشف والأغطية. البرقية تقول: «علمنا بالخبر. حبي لكما. العمة ويني».

وتبعتها برقية ثانية من فاي و بول. ولما حان موعد النوم، رنّ الهاتف. تسمّرت تينا. دخلت السيدة كينغهان إلى المكتب وخرجت وعلى شفتيها ابتسامة عريضة فنادتها.

رفعت تينا السماعة وقالت:

«آلو! أنا تينا...»

«تينا، حبيبتي».

أخيراً هذا هو الصوت المنتظر والحنون.

«أبي! آه، أبي، هذا أنت؟ هذا أنت، يا أبي؟»

«نعم، هذا أنا! لقد فوجئت، أليس كذلك؟»

«آه، يا أبي. علمت بالخبر اليوم. أين أنت؟»

«في ساموا، أتناول فطوراً لم أتذوق مثله منذ دهور! وأنت، ماذا تفعلين في لندن؟»

«لم أكن أعرف أين أنت».

«آلو، تينا، هل ما زلت على الخط؟»

«نعم، متى ستصل؟»

«سنأخذ الطائرة في المساء وسنصل الى لندن مساء الغد، أو بعد غد. كم الساعة عندك؟... على فكرة من هو الذي لم يكف في محاولة الأتصال بي هاتفياً، من دون جدوى؟»

«إنه جدي. لديه صديق في وزارة الخارجية».

«آه! عظيم! والآن إلى اللقاء يا ابنتي الحبيبة».

لم تعرف تينا كم بقيت متمسكة بسماعة الهاتف بعد انتهاء المكالمة. جاءت البزابيت كينفهان وأخذتها إلى غرفتها. فاستعادت تينا وعيها وارتدت قميص النوم وهمست:

«لا قلق بعد اليوم!»

«نعم، يا تينا، لا قلق بعد اليوم».

قبّلت الجدة حفيدتها وقالت:

«إنني سعيدة يا حبيبتي. حتى ولو كنا سنخسرك مرة أخرى».

وضعت تينا ذراعيها حول عنق جدتها وقالت:

«لا، لن تخسراني، حتى ولو عدت إلى تاهيتي. سأكتب إليكما باستمرار وسأفكر فيكما وستأتيان لقضاء أيام معنا. أليس كذلك؟ لا تحزني يا جدتي».

دمعت الجدة وضغطت بشدة على صدر حفيدتها وقالت:

«أعدك بذلك. تصبحين على خير، يا حبيبتي».

ظلت تينا مستيقظة حتى ساعة متأخرة من الليل. هذه الأيام الأخيرة امتلأت بانفعال كبير. أولاً ماكس... ما كان يجب أن يأتي. أن يبث فيها من جديد هذا الحب المستحيل. إنه يعيش مع تياري. وستكون مغامرتها معه جزءاً من الماضي.

وعندما يعود والدها، سيستأنفان الحياة من جديد، كما من قبل. سيكرّس جان ريمون نفسه من جديد لرسومه وهي ستهتم به.

أخيراً عليها النوم. لم تنتبه إلى ما قاله على الهاتف. قال: «سنصل...».

مرت ساعة في بطء لم تشعر بمثيله من قبل. في اليوم التالي نامت تينا غير مصدقة أنها ستذهب في الغد إلى المطار لتقابل والدها.

تمّ تدبير المنزل لهذا الاستقبال المفاجيء في صورة تامة. حفلة العشاء جاهزة. الحديقة مليئة بالازهار... لكن الشمس لم تشرق بعد...

وبعد قليل، بدأت الشمس تلمع دليل استقبال وحفاوة. وعلى طريق المطار السماء كانت خالية من الغيوم. السيارة تسرع ووصول جان ريمون سيتم سراً. ما من صحافي علم بالأمر.

كانت تينا تميّز الركاب في قاعة الهبوط. فجأة شاهدت شبحاً ونظارتين سوداوتين وقربه امرأة شابة وجميلة ترتدي فستاناً واسعاً أزرق اللون.

كان يتقدم بسرعة بعد أن نزع النظارتين عن عينيه. وبعد لحظة وجدت تينا نفسها بين أحضانه. تضحك وتبكي وتصرخ وتضم والدها بشدة إلى صدرها. كان قد نحل جسمه وأبيضّ شعره. قدمته إلى جديها المتأثرين. لقد سبق والتقياه، من زمان...

قال السيد كينغهان، في هدوء:

«من زمان لم نلتق».

التفت جان ريمون إلى المرأة التي ترافقه وقال:

«تينا، أقدم لك ماريون... ماريون، هذه ابنتي تينا».

في حذر نظرت تينا إلى عيني والدها. المرأة التي بجانبه كانت طويلة القامة ولطيفة. ابتسمت وقالت:

«أنت تشبهين تماماً الفتاة التي وصفها لي والدك».

مدت تينا يدها في خجل لأنها لم تكن مسرورة بهذا اللقاء المفاجيء. من هي ماريون؟

قالت ماريون:

«حسناً. السيد ريمون بقربك، سأترككما معاً. أنا ذاهبة إلى اسكتلندا».

قالت تينا من دون أن تعرف ماذا تقول:

«أشكرك لما فعلته من أجل أبي».

«آه، لم أفعل شيئاً. والآن أتركك لعائلتك. إلى اللقاء».

ومن دون انتظار استدارت وابتعدت. نسيتها تينا للحال. لا شك أن لدى والدها أخباراً كثيرة.

ليلة العاصفة، اختفى رفاقه في البحر الهائج. تمكن من البقاء في قعر زورق النجدة. والله وحده العارف بالأمور...

«أتذكر أنني فقدت كل أمل برؤية ضوء النهار. لكن الشمس أشرقت وبقيت أنجرف بالتيار إلى ما لا نهاية. لم أر سفينة واحدة في الأفق. لقد هدأ المحيط الهادي حقاً وبقيت عدة أيام في عمق الزورق الصغير».

توقف لحظة ثم أكمل:

«شيئاً فشيئاً لم أعد أعي الوقت. كنت سأجن تحت الشمس الحارقة والحرارة الملتهبة. وعندما نفدت المياه، فقدت الوعي».

كان الجميع مجتمعون حول مائدة الطعام يتناولون العشاء على ضوء الشموع.

«ولما جاءت النجدة، كنت أهذي ولمدة أسابيع بكاملها بقيت من دون أن أعرف من أنا. نسيت اسمي. وفي الارسالية تعرفت إلى ماريون التي ساعدتني على استرجاع ذاكرتي».

«ماريون؟»

«نعم، إنها ممرضة. عائلتها متدينة جداً. كانت في زيارة لأختها، الراهبة بلانش التي تعمل متطوعة في رواتو. وفضلت ماريون أن تنتظر حتى أشفى تماماً قبل أن تعود إلى بلادها. لذلك أخذنا الطائرة نفسها».

وهنا سكت الجميع بمن فيهم تينا. لاحظوا تعبير وجهه. كان يريد أن يضيف

شيئاً في شأن ماريون. وبعد العشاء طلب جان ريمون أن يتصل هاتفياً بادنبره عاصمة اسكتلندا ليطمئن إلى أخبار ماريون.

توجه جان ريمون إلى المكتب وقال السيد كينغهان في استغراب:

«يا لها من قصة لا تصدق».

لم تعلّق الجدة بينما كانت تينا مسرورة لهذا الاعتناء بوالدها من قبل ماريون وكانت في حاجة إلى أن تطرح عليه أسئلة عديدة.

«اعتقد إنني تكلمت بما فيه الكفاية اليوم. لكن أنت يا ابنتي الحبيبة، أخبريني ما عندك».

لكن تينا وجدت أن الظرف ليس مناسباً لتقول ما تريد أن تبوح به.

أخيراً قرر جان أن يذهب إلى فراشه فاسرعت تينا لتريه الغرفة المرتبة في حب وحنان. كانت تقبّله باصرار. اطفأت النور وأشعلت ضوءاً شحيحاً وجلست في السرير بقربه. فقال لها:

«يا ابنتي الحبيبة تينا، لن أستطيع أن أصمد طويلاً قبل أن أخبرك».

صرخت تينا قائلة:

«ماذا هناك؟ هل أنت مريض؟»

«كلا. أكدّ لي الاطباء في ساموا أني شفيت كلياً... لكن ماريون وأنا...»

«ماذا؟»

«إني مغرم بها وأريد أن أتزوجها».

ابتلعت تينا ريقها فنظر إليها في قلق وقال:

«هل فوجئت إلى هذا الحد؟ لست برجل عجوز! عمري ٤٣ سنة وأمامي الوقت كله لتأسيس بيت من جديد. لن أنسى والدتك أبداً. لكن...»

«نعم، أعرف. لكن...»

تمدد وقال:

«سنمضي بعض الوقت مع ماريون، وستتعرفين إليها. لم أكن قادراً على أن احتفظ بهذا السر. وربما أخبرتك ذلك بجفاف. هل تفهمين؟»

«هل وافقت ماريون....»

«لم أكلّمها بالامر بعد، لكنها تحبني وأنا واثق من ذلك. إنها امرأة رائعة. لقد اعادت إليّ الحياة».

«صحيح؟»

«أمضت أياماً تحاول أن تعيد إلي ذاكرتي، وتساعدني على استعادة الأحداث التي حصلت لي. لم تفكر بأي مستقبل يجمعني بها. كانت تفكر أنه ربما لدي زوجة وأولاد في انتظاري. وفي أحد الأيام كنت أرسم على ورقة فاقتربت مني وصرخت:

«إنك ترسم، لا شك أنك فنان!».

ومنذ ذلك الوقت بدأت الذاكرة تعود إليّ تدريجياً، وتذكرت اليخت، والعاصفة والغرق....»

توقف قليلاً وراح يربت على خد تينا ثم أضاف:

«يجب أن نتصل بها غداً. أنت أيضاً ستحبينها».

هل ستجعل ماريون والدها انساناً سعيداً؟ تينا لا تشك في الأمر.

الجدان عارضا مشروع الزواج. كانا يعتقدان أنها مغامرة عابرة ولدت في ظروف معينة. لكنهما لم يفهما عمق الاحاسيس والعاطفة التي بينهما.

مع ذلك دعيا ماريون إلى المنزل. وبعد ذلك اللقاء اقتنعا بالأمر وكذلك تينا.

كانت ماريون تملك كل الصفات المميزة وتتمتع بمزاج مرح. لم تتدخل

بشؤون العائلة. كانت تشترك ببساطة في الأمور المنزلية كما أنها عالجت الخادمة التي احترقت يدها بينما كانت تحضر الشاي.

رافقت تينا والدها إلى اسكتلندا للتعرّف على عائلة ماريون. وتمّ تحديد موعد الزواج بعد أقلّ من شهر.

أراد العروسان أن يمضيا شهر العسل في منطقة الهايلاندز البريطانية. فعادت تينا إلى منزل جديها وأمضت معهما أسبوعين كاملين.

سألتها السيدة كينغهان في صوت مبحوح ومليء بالانفعال:

«هل فكرت جيداً في أمر عودتك؟»

«نعم».

«ألا يجب أن تدعي والدك و ماريون يؤسسان حياتهما لوحدهما؟»

«ماذا تعني؟»

«قد ينجبان أولاداً. لن تعودي الحب الوحيد لوالدك. أنا أطلب منك أن تتخلي عن رؤيته. إني أحاول البحث عن سعادتك. ثم مازلت ابنتنا الوحيدة... في الوقت الحاضر. وليس لدينا سوى الاهتمام بك وتدليلك».

«لا تقولي هكذا!»

«سنخسرك من جديد بعد وقت قليل».

لم تتمكن تينا من مواساة جدتها. إنها تريد العودة إلى منزلها، لكن انكلترا تمزقها. ليس في امكانها أن تبتعد عن جديها من دون أن تشعر بألم...

«لا تتخذي قراراً سريعاً. أعرف صعوبة هذا الأمر. لكن فكري بالأمر ملياً».

لم تكن تينا تجرؤ على التصريح بأن كالوها عزيزة جداً على قلبها، لأن فيها حبها الكبير الذي أضاعته.

قررت انتظار عودة والدها و ماريون لتبحث الأمر معهما. لكن وصلتها

رسالة مفاجئة!

قرأتها ثانية مرات عديدة. هل فاي تقول لها الحقيقة؟ لقد قررت نهائياً. ستغادر انكلترا. هناك واجب أخير عليها أن تحققه وهو رؤية ماكس حتى ولو اضطرت بعد ذلك للعودة إلى انكلترا.

١٠ ـ لا تدعني أبكي بعد اليوم!

«يجب أن أذهب إلى كالوها».

قال والدها، ويداه على أذنيه.

«نعم، وسنصطحب ماريون معنا. إني لا أطيق دويّ هذه الطائرات».

«أعني أني أريد الذهاب في الحال، يجب أن أرى فاي».

قالت لها العمة ويني باستغراب:

«سترينها غداً، ستأتي مع التوأمين. الجميع سيكونون مسرورين للقاء والدك وزوجته الجديدة».

قالت لها ماريون:

«لكن يا تينا، لم تفرغي بعد محتوى حقائبك! لقد وصلنا لتونا. وقال لي والدك ان الزورق لا يعمل بعد الظهر».

«سأجد من يتولى ايصالي إلى كالوها. سأمضي الليل هناك. لا تقلقي».

حملت حقيبة يدها وخرجت:

فكرت بسرعة وامتطت دراجتها القديمة. ستصل إلى كالوها قبل حلول الليل.

وماذا لو كان ماكس غائباً؟

أبعدت هذه الفكرة السلبية وتوجهت إلى المرفأ. توقفت أمام مقهى صغير.

تعرف صاحبه الذي خرج لتوه وصرخ:

«الآنسة تينا!»

«وصلت إلى تاهيتي منذ أقل من ساعة. هل في امكاني وضع دراجتي في عهدتك؟»

«طبعاً. كالمعتاد».

وضعت الدراجة في المرآب الصغير وشكرته ثم توجهت إلى رصيف المرفأ تبحث عن جاك لوغان المعروف في بابيت. إنه يعشق البحر ويدعونه:«كلب البحر» شاهدته فاسرعت إليه وطلبت منه أن يوصلها إلى كالوها. تردد ثم أجاب:

«ليس في زورقي وقود».

«سأدفع لك ثمنه يا جاك».

«إذن، خذي كأساً بينما أعبىء الخزان وأدير المحرك».

«سأساعدك».

هزّ جاك كتفيه كأنه لا يثق بمساعدة النساء.

أخيراً صعدا إلى الزورق. ولم يقل جاك كلمة طوال الطريق وهي كانت عاجزة عن الجواب إذا ما سألها سبب عجلتها. ولم يمض وقت حتى ظهرت الجزيرة في الأفق.

وماذا لو كان ماكس غائباً؟

لا..يجب أن يكون في المنزل. نعم، يجب.

كان الزورق يقترب وأراد جاك الاتجاه صوب الفندق.

«لا، يا جاك. من هنا. إني ذاهبة إلى الأرض المزروعة».

التفت إليها وقال:

«إذا كنت تريدين رؤية هنري العجوز، فهو ليس هنا».

«نعم، نعم، أعرف. لكنني أريد أن أتوجه إلى المزروعات، من فضلك».

ألقى جاك نظرة ساخرة إليها وقال:

«كما تريدين، يا آنسة. أنا رهن أوامرك! لقد عاد السيد ثورنتون منذ ١٥ يوماً».

قالت له تينا وهي تضحك:

«لا تتدخل يا جاك بشؤون الغير! سأبقى الليلة في الفندق. فلا داعي لانتظاري. وإني أشكرك كثيراً».

لم تبال تينا بأقاويل يمكن أن تنتشر في بابيت الليلة بالذات متى عاد جاك إلى تاهيتي. كانت لا ترى في مخيلتها إلا الرسالة التي تلقتها من فاي. تكلمت عن زواج بيار و كورين، وعن فرحها للعثور على والدها. وفي نهاية الرسالة، أضافت تقول: «كل شيء عاد إلى هدوئه هناك في المزروعات لقد حكمت على ماكس ثورنتون خطأ، في شأن تياري».

بدأ قلبها ينبض بسرعة. فصعدت السلالم التي تؤدي إلى الفيلا. كيف ستجد ماكس؟ هل ما زال ذلك الرجل المتعجرف؟ هنا لم يتغير شيء منذ سفر تينا إلى انكلترا.

«لقد حكمنا على ماكس ثورنتون خطأ...»

ماذا تعني بهذا الكلام؟ بدأت الشمس تغيب و تينا على عتبة الشرفة تعض على شفتيها. تقدمت ولم تسمع أيّ صوت. ما زال أمامها الوقت للهرب والابتعاد عن هذا الرجل الذي أذلها...

كان الباب مقفلاً. لا رائحة ولا ضجة ولا صوت... تجولت حول الفيلا وكبتت صرخة وهي ترى قميصاً مغسولة معلقة على الحبل. كانت جافة. ثم عادت إلى الشرفة في مواجهة البحر. وقررت الانتظار وراحت تتأمل حلول الليل.

من بعيد رأت قمم موريا و تاهيتي. النباتات تنحني والعصافير تحلّق فوق الجزيرة للمرة الأخيرة قبل أن تبيت في أعشاشها. والعتم يسحرها...

فجأة سمعت خطوات آتية. فانتفضت وسقطت حقيبتها. فانحنت لتلتقطها عندما انفتح باب الشرفة.

«من هنا؟ تينا!»

كانت ترتجف وقالت:

«لم أسمعك».

«متى وصلت».

«وصلت اليوم بعد الظهر».

«ادخلي لنأخذ كأساً».

«كلا. أفضل أن أبقى في الخارج. السفر في الطائرة كان طويلاً وأنا بحاجة إلى الجلوس في الهواء الطلق»

التفت إليها ووضع يده على درابزين الشرفة وقال:

«لم تضيعي وقتك سدى. كنت دائماً فتاةمدهشة».

أغمضت عينيها وقالت:

«إلى متى ستظل تعتبرني فتاة صغيرة؟»

لم يرد لكنه أشار إلى البحر وقال:

«إن عودة والدك غمرتني فرحاً. إنها حقاً لمعجزة، أليس كذلك؟»

«آه، نعم!»

«ولديك الآن قريبة جديدة؟»

«ماريون... إنها امرأة لطيفة جداً. وإننا متفقان معاً تماماً. إنها مثل أخت كبيرة بالنسبة إليّ».

تنفست الصعداء وأسندت ظهرها على درابزين الشرفة قالت:

«ماكس... يجب أن أقول لك شيئاً... أرجوك ألاّ تقاطعني، فليس ذلك بالأمر السهل!»

ترددت وقالت:

«أنت من نوع الرجال... الذين لا يحبون أن يصغوا إلى النساء اللواتي يعترفن بما يعذبهن. إن حوادث الماضي ساعدتني على النضوج».

«ماذا تريدين أن تقولي، يا تينا؟»

عضت على شفتيها وقالت:

«كن صبوراً. أولاً أريد أن أشكرك لزيارتي في انكلترا. هذا لطف منك».

«هل جئت إلى هنا من أجل أن تقولي لي هذا؟»

«... أريد أن أشرح لك لماذا أردت مغادرة تاهيتي، من دون أن أراك. أنت...»

«تينا! سأتولى الأمر عنك. كنت تظنين أن تياري عشيقتي، أليس كذلك؟ هل هذا رأيك بي يا تينا؟ لقد سمعت أقاويل كثيرة حول هذه القصة».

«لم أكن أعرف من أصدق. لقد شاهدت تياري بين...»

«وظننت عندئذ أننا عاشقين. ألا تعرفين جيداً عادات النساء التاهيتيات؟ يعتبرن الحب كالأكل والشرب والتنفس. بالنسبة إلى تياري كنت الرجل الغريب الذي قطع البحار لأخذها إلى دنيا جديدة. كان يجب ألا أقول لها الحقيقة إلا عندما تصل إلى هنا. وما العمل؟ إن تياري هي حفيدة هنري لاتور. ووالدتها تاهيتية، تعرف إليها ألكسيس في أحد أسفاره. وبعد ولادة الطفلة، هربت الوالدة مع رجل آخر. ولم يغفر هنري هذه الغلطة التي ارتكبها ابنه وأراد أن تكون تياري بقربه، في كالوها، حتى يؤمن لها التربية والتعليم. لكن هنري لم يتوصل إلى الاتفاق مع ابنه. هذه هي القصة كلها. قامت قيامة

الجميع عليّ!»

«أنا آسفة يا ماكس!»

«لماذا؟»

«لم أكمل حديثي بعد. ولن أتكلم طويلاً. لم أكن أعرف كل هذه القصص عن تياري، لكن هذا ليس مهماً. لقد كنت دائماً صادقاً معي».

«تينا، أعتقد...»

«ماكس جئت لأقول لك... أنني أحبك، ولقد أحببتك دائماً».

«تينا، أرجوك...»

«دعني أنهي كلامي. عندما رحلتِ من هذه البلاد، كنت أفكر بجدية وصدق ألاّ أراك بعد الآن. لكني، كنت متأكدة أنني أعني لك الشيء الكثير. شعوري الداخلي كان يؤكد لي ذلك. ربما أخطأت، ربما لم تكن تشعر تجاهي إلاّ بالشفقة. لكن هذا لا يهم. كنت أريد أن أعرف. وبعدها سأنسى الماضي كلياً».

«ماذا تعنين؟»

«سأعود إلى انكلترا».

«إلى انكلترا؟ لكن متى، ولماذا؟»

«لا أعرف. لكن جدتي في حاجة إليّ. ووالدي و ماريون سينجبان أولاداً ومكاني قرب جدتي وجدي. لكني . لم أكن قادرة على الرحيل قبل أن أعرف...»

توقفت عن الكلام وبدأ الدمع يترقرق في عينيها ثم قالت:

«أنت كنت حاضراً في وقت السوائد وبالنسبة إليّ هذا نوع من الحب، ولم أمنع نفسي من التجاوب معه. جئت لأودعك...»

أخفت تينا وجهها في يديها وأجهشت في البكاء. شعرت بذراعيه تلفانها.

«تينا، حبيبتي، لا تبكي، يا تينا».

«لا أستطيع... ما كان يجب أن آتي. أنت تشفق عليّ».

«كلا. أنا لا أشفق عليك! اسمعي يا تينا، إني أحبك. أنت الفتاة النحيلة... لكنك كنت نافدة الصبر. كنت قد أفسدت السهرة كلها».

«لكن... لماذ؟»

«لقد كدت تجعلينني مجنوناً».

«إذن... لكن لماذا، يا ماكس؟»

ضمها إليه وقال:

«كان عليّ أن أكون متنبهاً. كنت واقعة في غرام بيار. وحتى بعد ثلاث سنوات عندما عاد، كنت دائماً أراه حاضراً. لكن لم أكن قادراً على أن أقول شيئاً وإلاّ خسرتك إلى الأبد».

«وأنا لم أفعل شيئاً لأضللك. اعتقدت أنك مغرم بكورين».

«علاقتي مع كورين علاقة صداقة عابرة وسطحية. لكن افهميني جيداً، يا تينا، بعد اختفاء والدك، لم يكن في وسعي أن أطلب يدك. لقد تعذبت عندما ظننت أنك تعتبرينني مثل والدك. والآن لقد عاد وتزوج...»

«آه، ماكس!»

«لما علمت بوصولك، قررت أن أزورك في الغد، عند فاي... واستولي عليك!»

ضمها من جديد إليه وعانقها بقوة وحنان. لم تعد تشك بحبه فاستسلمت لعناقه وقالت:

«أنت... تحبني؟ حقاً!»

ظلا متعانقين طويلاً تحت ضوء القمر. ثم ابتعد عنها بلطف وقال:

«ادخلي لنأخذ كأساً».

تبعته خائفة أن تخسره من جديد. وفي الداخل ضمها إليه وعانقها وسألها:

«أين ستنامين الليلة؟»

«عند فاي».

«اذن، عليّ أن اوصلك».

«إنها تجهل وجودي هنا. آه، ماكس...»

«ماذا يا حبيبتي؟»

«هل تحبني؟ لا يمكنني أن أصدق».

«سأحاول أن أقنعك بذلك. كان عليّ أن أتزوجك من زمان. لكنني كنت أريد أن أتأكد من حبك لي، أنا أيضاً».

«لم أفكر إلا فيك، خلال الأيام الماضية... وتلك الليلة، في ماراي، كنت أريدك...»

«نعم، وللمرة الأولى كنت تشعرين بانجذاب نحو رجل... ولو لم أوقفك عند حدك، لكان كل شيء قد أفسد. من دون أن تجد مشاكلك الحل المطلوب».

لم يكن ماكس أنانياً. أرادت أن تقول له كم يفعمها حبه. راح يعانقها ويداعبها في نعومة حميمة.

ثم نهض وقطف زرّ وردة وشبكه في شعرها. وهي وقفت على رؤوس أصابعها وطبعت على وجهه قبلة وقالت:

«لن تدعني أبكي بعد اليوم، يا ماكس».

«هل تتذكرين؟ ستكونين زوجتي إلى الأبد».

وعانقها من جديد.

أن تكون زوجته... إلى الأبد. هذا ما كانت ترغب فيه أكثر من أي شيء آخر في العالم.

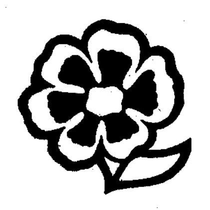
البَاقة المقبلة مِنْ عبير

فيوليت وينسبير

قطار في الضباب

الفعل التلقائي لا يفهم على حقيقته أبداً. فهو ينبع من رغبة طبيعية للاحتفاظ بالذات، أو من رغبة طبيعية مماثلة للتضحية بالنفس، وليس من الضروري أن يكون الحب هو الدافع...

... كان اسمه لو مارش وكان مخرجاً في هوليود، وسيماً ومشهوراً يفتن بلا هوادة، لكنه تزوج فاي العادية المظهر والمتواضعة الأصل، ولم يكن أمامها في النهاية سوى الرحيل عنه بعدما خسرت جنينها بسببه، لكن الرحلة في القطار معاً، كصديقين، والحادث الرهيب الذي وقع له عندما حاول انقاذ فاي من الموت المحتم، جعلهما يكتشفان أن الفعل التلقائي، مهما كان، لا يحصل بدون دافع حقيقي عميق... وأن الحب وحده يدفع بالانسان إلى التضحية بنفسه. لكن هل يكفي هذا لكي يعود الواحد منهما للآخر بعد طول غياب؟



أنـدريـا بـليك

لؤلـــؤة

الانسان يحب التملك غريزياً. وملكية الأرض لا تزال من أكبر وأهم أحلام البشر. جولي عاشت في جزيرة سوليتير* عشرة أعوام، فتعلّقت بالتراب والشمس والخلجان، إلى درجة أنها أصيبت بصدمة عنيفة عندما وافق والدها على بيع أرضه ارضاء لزوجته جيزيلا، التي سئمت الحياة المعزولة ورغبت في حياة المدن الصاخبة.

ووقفت جولي أمام الرمال المتساقطة من بين أصابعها لا تجد وسيلة لمنع صفقة البيع. هل تقتل سيمون ذلك الغريب الذي جاء فجأة لشراء جزيرة طفولتها والقضاء على أشجار ونباتات ذكرياتها؟ عليها أن تدافع عن أحلامها، يجب أن تمنع ذهاب الأرض من بين ذراعيها، ولكن جيزيلا تقف لها بالمرصاد وتخطّط للخلاص من أسر الجزيرة...

جولي اليائسة اعتبرت عرض سيمون للزواج منها هو الحل الوحيد، رغم أنه يكبرها سناً. فهل تتزوج المرأة رجلاً لتحتفظ بأرضها؟

